أرسين لوبين

أرسين لوبين في نيويورك



مغامرات " ارسين لوبين "

ذو الشخصية الفذة في اقتحام عالم الجريمة وكشف مرتكبيها وتقديمهم للعدالة . وصاحب المغامرات المثيرة المعروف لملايين القراء في جميع أنحاء العالم . والذي ذاعت شهرته حتى تفوقت على كل الشخصيات البوليسية التي تصور الجريمة وتحلل وتكشف عن مرتكبيها .

تعد الروايات البوليسية التي تحمل اسم البطل (ارسين لوبين) أعظم الروايات البوليسية في مطلع هذا القرن والتي كتبها الكاتب الفرنسي " موريس لبلان " وقد لاقت إقبالاً عظيماً من القراء وخاصة المهتمين بدراسة الجريمة وتحليل دوافعها وإحاطة اللثام عن مرتكبيها وتقديمهم للمحاكمة لينالوا الجزاء الرادع . لذلك احتلت رواياته وقصصه مكانة مرموقة في عالم القصة البوليسية .

وهذا البطل (ارسين لوبين) يتميز بالنبل والشرف والشهامة فهو لا يهدف من مغامراته الى الثراء وكسب المال او للثأر والإنتقام من خصومه . وإنما يكرس حياته للكشف عن الجريمة وتعقب الجناة وتقديمهم للعدالة .

إنه اللص الشريف الذي يمتلىء قلبه بالحب والخير للناس .

وخاصة البائسين والفقراء حيث كان يخصهم بعطفه وإحسانه ويتبرع بكل ما يحصل عليه من الأثرياء البخلاء واللصوص الجشعين للجمعيات الخيرية ومؤسسات البر والإحسان .

وقد تحدى هذا البطل (أرسين لوبين) رجال الشرطة وكبار المفتشين الخصوصيين في عصره في اوروبا وأمريكا حتى أطلق عليه لقب الرجل ذي الألف وجه وهيئة حيث كان يجيد التنكر ويظهر في شخصيات متعددة .

فلا عجب إن احتلت رواياته مكانة عظيمة في قلوب جميع القراء في كل أنحاء العالم .

برنارد الأسطه

يقدم

الروايةالمعرّبة

أرسين لوبين في نيويورك

(٩)

رواية بوليسية طريفة بطلها اللص الظريف "أرسين لوبين"

الناشر

دار ميوزيك

للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش ٠م٠م٠

ص.ب ٣٧٤ جونيه – لبنان

مقدمة

ارسل الخطاب في أول الأمر إلى السكرتير كما تقضي بذلك النظم واللوائح... ثم حول إلى مكتب تحقيق الشخصية ومنه إلى مكتب الأبحاث الجنائية ومنه إلى المباحث العامة . واخيرا استقر به المطاف بين يدي "أرثر كيتروم" المدير العام للبوليس .

وهذا الخطاب وثيقة خطيرة يلذ للمرء الاطلاع عليها على الرغم من أن كاتبها هو المفتش تيل الذي لا يجيد إلا الأساليب المفككة الركيكة وهذا نص الخطاب :

" من إدارة سكوتلاند يارد بلندن

إلى مدير بوليس مدينة نيويورك "

"سيدي العزيز

يجب ان نخطرك بان لدينا من الأسباب ما يحملنا على الاعتقاد بان أرسين لوبين رحل عن هذه البلاد وانه موجود في الولايات المتحدة في الوقت الحاضر.

ونرفق طي هذا صورة فوتوغرافية له وبيانا باوصافه وسوابقه اما بصمات أصابعه فلم يتيسر لنا الحصول عليها حتى الآن .

وسيتضح لك من الاطلاع على قائمة السوابق المرفقة بهذا انه يجدر بك - مراعاة لمصلحتك - بان تراقب حركاته وسكناته إذا امكنك الاهتداء إليه .

"المخلص"

"و . تيل"

"كبير مفتشي البوليس السري"

وهذا نص الأوصاف المرفقة بالخطاب :

"ارسين لوبين" (معروف بهذا الاسم اما اسمه الحقيقي فمجهول) العمر : غير معروف على وجه التحديد - الطول ست اقدام وبوصتان - الوزن حوالي ٨٠ كجم - العينان زرقاوان - الشعر اسود - البشرة اميل إلى السمرة - بكتفه اليسرى ندب نتيجة لطلق ناري"

"ميوله وطباعه : حسن الهندام محب للأناقة ذو ذوق ممتاز - مولع بالترف والرفاهية ولا ينزل إلا افخم الفنادق - خبير في قذف المدى وإصابة الهدف -طيار بارع - يتكلم عدة لغات بطلاقة تامة"

اما قائمة السوابق فكان هذا نصها :

" له في فرنسا تاريخ قديم لا مجال للدخول في تفصيلاته . وقد ظهر في إنجلترا مرة او مرتين على عهد البوليس السري الشهير شرلوك هولمز . ولكننا عرفناه للمرة الأولى منذ خمس سنوات في حادث السطو على بنك شيكاغو إذ تقدم إلينا وتعهد بان يقتفي اثر اللصوص فقبلنا اقتراحه وقد نجح فعلا في استرداد المال المسروق ولكنه استولى على عشره على سبيل المكافاة واعاد إلى البنك التسعة اعشار.

"وبعد زمن وجيز ساقته مغامراته إلى حرب عوان مع المجرمين والقتلة . وكان سببا في القبض على كثيرين من زعماء العصابات ومهربي المخدرات وتجار الرقيق الأبيض ومنافسيه في ميدان الاحتيال.

واستمر نشاطه إلى أن غادر إنجلترا منذ ستة اشهر"

"وهناك مسالة اخرى مؤكدة وهي أن ارسين لوبين كان يخرج من جميع مغامراته بغنائم مالية لا يستهان بها حتى ليقال بان له في البنوك رصيدا لا يقل عن نصف المليون جنيه"

وتناول مدير البوليس الصورة الفوتوغرافية المرفقة بالخطاب فجعل يتاملها هنيهة ثم مضى يقرا الخطاب للمرة الثانية وهو يهرش راسه مفكرا .

وكان وجهه متجعدا كثير الغضون .

وكانت هذه التجعدات هي الجزء الوحيد الذي ظفر به من وراء جهاده الطويل ضد الجريمة والمجرمين في خلال الأربعين سنة الماضية وهو عهد كان فيه المجرمون اصدقاء لأعداء المجرمين . عهد كان فيه حماة القانون يمشون متابطين ذراع اعداء القانون ...

ولما فرغ مدير البوليس من تلاوة الخطاب للمرة الثانية التفت إلى جليسه وقال:

- وهل تعتقد ان لذلك علاقة بالخطاب الذي تلقاه اربول ؟

فازاح المفتش جون فرساك قبعته إلى الوراء واحنى راسه في حركة سريعة مقتضبة . ثم اوما بإصبعه إلى ورقة اخرى موضوعة على مكتب مدير البوليس وقال:

- إني ارجح ذلك ... الم يقل مفتش سكوتلاند يارد إن هذا الرجل .. ما اسمه .. ؟ آه .. ارسين لوبين .. قاد في بعض اطوار حياته حربا على الجريمة والمجرمين .. ؟ إني لا يخالجني الشك في انه صاحب تلك الرسالة التي وصلت اربول .

فقال مدير البوليس متسائلا:

- وإلى اي مرحلة بلغنا في قضية اربول ؟

فاجاب المفتش فرساك في لهجة تدل على الحنق:

- إلى لا شيء ... ستنظر قضيته بعد ظهر اليوم امام محكمة الجنايات .. ولكن ماهي النتيجة .. ؟ التاجيل طبعا كالعادة .!

واطلق فرساك من فمه بصقة كبيرة دلالة على غيظه .. وكان يقصد طبعا ان يجعلها تستقر في المبصقة ولكنه اخطا الهدف فسقطت على السجادة النفيسة واستتلى المفتش قائلا:

إنك لا تجهل ما يحدث في هذه الأحوال .. إني لم اقم بعمل إحصائية فإني ضعيف في الحساب كما تعلم ولكنني على يقين من ان هذه هي المرة الثلاثون التي اجلت فيها هذه القضية .. نعم فكلما مثل اربول امام المحكمة استطاع ان يظفر من القاضي بتاجيل قضيته ... فإذا نكرنا انه قد مضت سنتان على مقتل" إنسكي" فهناك امل في ان يرى احفادنا اليوم الذي يصدر فيه الحكم .. هذا إذا ظل اربول على قيد الحياة ولم تقض عليه الشيخوخه وكبر السن .

وللمرة الثانية بصق فرساك .. وللمرة الثانية اخطا الهدف !

ومال فرساك إلى مكتب رئيسه ووضع فوقه قبضته الضخمة ونظر إلى كيتروم بعينين تبرقان كانهما جمرتان من النار وصاح قائلا في صوت اجش:

- لقد مر بي زمن تمنيت لو كان في "نيويورك" رجل من طراز "ارسين لوبين" يقوم بمثل هذه الأعمال التي يشير اليها هذا الخطاب .. بل لقد

خطر لي في بعض الأحيان ان اقوم انا نفسي بهذا العمل فاريح هذه البلاد من شر هذه العصابات بقتل زعمائها اعداء الإنسانية الألداء.

لو كان عندنا رجل مثل ارسين لوبين لما قامت للجريمة الوحشية قائمة في هذه المدينة.

كان إنسكي زميلا لي عندما كنت ضابطا في فرقة البوليس قبل أن انتقل إلى قسم الأبحاث السرية . ولقد عرفته شرطيا جسورا لايهاب الخطر .. وانت تعرف طبعا ما اعني فقد كنت انت نفسك من رجال الشرطة قبل ان تتدرج في المناصب الإدارية .. لقد عانيت بنفسك المتاعب التي يعانيها الشرطيون وكابدت ما يكابدون وقاسيت ما يقاسون فإذا قلت لك إن" إنسكي" كان جسورا فلا شك انك تفهمني حق الفهم .

وكان" فرساك" يشد قبضته على حافة المكتب وهو يلقي بهذه الكلمات لفرط انفعاله .

ثم استطرد قائلا:

- نعم .. كان إنسكي جسورا .. من المحتمل انه لم يكن نكيا ولكنه كان جسورا .. إنه ليقذف بنفسه وسط المعمعة بدون أن ينبض في صدره عرق بالخوف .. ففي الوقت الذي يتوارى فيه رجال الشرطة جبنا يتقدم "إنسكي" إلى الميدان بلا رهبة أو وجل .. واخيرا ياتي هذا الفار الحقير" اربول" فيطلق عليه النار ويرديه قتيلا !

ولزم "كيتروم" الصمت بدون أن يجيب بكلمة واحدة . بل لقد كان جامدا على مقعده كانه صخرة لا تتحرك . ولكن عينيه كانتا مستقرتين على وجه ذلك الرجل الغاضب الحانق الجالس امامه . . كان ينظر إليه في عطف وشفقة لأن كل جارحة من جوارحه كانت تصرخ وتنادي بان المفتش "فرساك" على حق فيما يقول .

وتابع "فرساك" حديثه بقوله :

- ونقبض على أربول .. والدنيا باسرها تعرف انه هو القاتل .. ولكن ما الفائدة .. ؟ لقد استطعنا ان نجبره على الاعتراف بما فعل .. ولكن أية قيمة لهذا الاعتراف في نظر القانون .. او بعبارة أخرى في نظر هؤلاء القضاة المرتشين الخربي الذمة الذين يصدرون أحكامهم

باسم العصابات لا باسم العدالة .. فالقصاص الوحيد الذي نزل بـ "اربول" هو ما ناله منا من تعذيب .. لقد ضربناه حقيقة ضربا مؤلما مبرحا بهراوة من المطاط لا تترك اثرا . ولكن الهراوة لا يمكن أن تكون معادلة لرصاصة تزهق الروح .. رصاصة "اربول" قتلت "إنسكي" .. ولكن هراوتنا لا يمكن ان تقتل "اربول" .. هراوتنا لن تجعله يتلوى الما ويعض الأرض بفم تنبثق منه الدماء .. هراوتنا لن تجعله يترك وراءه زوجة لا عائل لها وأطفالا مساكين ينادون اباهم فلا يلبي النداء .. وبالاختصار هراوتنا لن تقتل .. ! ولكنها افادت بان جعلتنا ننتزع منه اعترافا بجريمته فما الذي حدث بعد ذلك ؟

هذا الاعتراف كفيل بان يجعل القاضي يصدر على القاتل حكما بالإعدام .. فهل أصدر القاضي هذا الحكم . ؟ كلا .. ولماذا . ؟ لأن هناك رجلا سياسيا يبسط نفوذه على هذا القاضي .. وهذا السياسي لم يفز بمقعده في البرلمان إلا بمساعدة نفر من رجال العصابات الذين يرهبون الناخبين ويهددونهم حتى يعطوا أصواتهم لمرشح دون اخر . والسياسي هو الذي ينتخب القاضي ويعينه فالمسالة حلقة مفرغة .. العصابات تعين النائب .. والنائب يعين القاضي .. والقاضي هو الذي يحاكم العصابات .. فهل تنتظر بعد هذا ان يصدر حكما بالإعدام .. ؟ إنه مضطر أن يرضي السياسي الذي عينه .. والسياسي مضطر ان يرضي العصابة التي ساعدته .. ونتيجة هذا الإرضاء براءة المتهم وذهاب دم القتيل هدرا ..

ولو كان الأمر مقصورا على السياسي الذي يامر القاضي لهان الخطب . ولكن هناك ذلك المحامي الذي يتقدم إلى المحكمة بالاف من الحيل والخدع وادلة النفي الملفقة .. وهناك المحاكمات الصورية المضحكة التي يقوم بها قاض مرتش خرب الذمة ومحلفون مرتشون او مهددون .. ووكيل نيابة يتناول من العصابة مرتبا اضعاف المرتب الذي يتقاضاه من منصبه .. وهناك التاجيلات والإفراج بالضمان والطعون والنقض والتماس العفو .. وكل هذه الالاعيب التي وضعها القانون خدمة للعدالة فكانت حربا على العدالة .. ! فما الذي تنتظره بعد هذا ؟ أيمكن أن تكون السيادة للقانون والأحوال على ما نرى !

هذا هو "اربول" لقد قدمناه إلى المحاكمة ولكنهم اجلوا قضيته مرة بعد مرة .. وشهراً بعد شهر .. حتى يصبح الناس وقد نسوا ان هناك شرطيا يدعي "إنسكي" قتل غدرا .. وأن هناك مجرما يدعى "اربول" هو الذي قتله .

واخيرا يطلقون سراحه ويبرئونه من التهمة التي تعلم الدنيا باسرها انه هو مرتكبها .. !

وهب انهم ارسلوه إلى السجن . فهل يضيره السجن . !

إنه يعيش في داخل السجن خيرا مما كان يعيش في خارجه .. يباح له التدخين .. والاصغاء إلى الراديو .. ومقابلة الاصدقاء والأعوان وتمضية الوقت في القراءة ولعب القمار .. وبعد بضعة شهور يامر محافظ السجن بالإفراج عنه بحجة انه كان حسن السير والسلوك .. ! فإذا اعوزتهم هذه الحجة احضروه امام "لجنة الشرف" فتربت اللجنة على كتفه في رفق وعطف وتقول له :

– هل تقسم يابني بان تكون ولدا طيبا مطيعا .. ؟

– نعم اقسم

– إذن عد إلى بيتك "يا شاطر" وكن ولدا عاقلا ولا تغضب "ماما" . !

وهكذا تنفتح أبواب السجن لتخرج إلى العالم وحشا في صورة إنسان .

ولا تكاد تمضي على خروجه بضعة ايام حتى ينهال الرصاص على شرطي آخر وتتدحرج جثته إلى بالوعة القاذورات دون أن يحفل أحد بالدم المراق .. ! وهكذا يهوي رجال الشرطة واحدا بعد الآخر دون ان يعبا بهم إنسان كانهم فئران حقيرة لا ذكر لها.ولا اهمية !

وكان المفتش "فرساك" يلقي هذا الخطاب بلهجة حماسية وصوت متهدج اجتمعت في نبراته آلام السنين الماضية . و"كيتروم" ينصت إليه دون أن يقاطعه بكلمة واحدة .

ولم يكن هناك في الواقع ما يدعوه إلى المقاطعة فما نطق "فرساك" إلا بالحقيقة وما كانت كلماته إلا أصدق تعبير عن الحالة التي انحدرت إليها العدالة في تلك البلاد .

ونظر "فرساك" إلى الصورة الموضوعة على المكتب وقال :

لقد أرسل هذا الرجل المدعو"ارسين لوبين "خطابا إلى "اربول" يقول له فيه :

"إذا افلت من عدالة المحكمة فلن تفلت من عدالتي .. إن القصاص سيلحقك حيثما كنت .. فإذا براتك المحكمة وخرجت إلى الطريق تبتسم وتزهو وسط أصحابك فلن تصل إلى بيتك .. ستكون هذه آخر مرة تزهو وتبتسم فيها .. إن شعاري : سن بسن وعين بعين ونفس بنفس .. لقد قتلت "إنسكي" فيجب أن تقتل .. فإذا قصرت المحكمة في تادية رسالة العدالة فإني لن اقصر ! "

وسكت "فرساك" هنيهة ثم استطرد قائلا :

– وإذا صح ماذكره المفتش تيل في خطابه فإني اعتقد ان "ارسين لوبين" لن يتردد في تنفيذ وعيده .. وصدقني اني لن الومه إني انا نفسي افكر في ان الحل الوحيد هو ان اتولى بيدي قتل "اربول" وإقامة العدالة التي يخنقها أولئك الرجال المفروض فيهم أن يكونوا خداما للعدالة !

ولكن ما الذي سيحدث إذا قتل "لوبين" هذا الشقي "اربول" ؟ ستقوم الدنيا وتقعد .. وستنادي الصحف بالويل والثبور .. وسيصرخ أعضاء البرلمان الذين عينتهم العصابات منادين بضرورة القبض على القاتل .. وسيذكرون عند ذلك – وعند ذلك فقط – أن هناك دما أريق . !

وإذ ذاك تصبح مهمتي هي مطاردة "ارسين لوبين" ومحاولة القبض عليه فهل هناك مهزلة أكبر من هذه ! اقبض على الرجل الذي أعتقد انه لم يفعل إلا الواجب ! اقدم إلى القضاء الرجل الذي فعل ما كان يجب أن افعله انا .. او انت او اي رجل له ضمير حر شريف في هذه البلاد ! لعمري إني لأفضل ان انطلق في الطرقات شريداً جائعا فقيرا عن أن أضع يدا على "ارسين لوبين" !

وكان المفتش "فرساك" يرتعد لفرط انفعاله والكلمات تتدفق من فمه كالسيل .

فلما سكت نظر إليه مدير البوليس في هدوء ثم تكلم للمرة الأولي بعد ذلك الصمت الطويل فقال :

– "فرساك" .. يجب أن تؤدي واجبك .. قبل كل شيء .. فصاح

"فرساك" قائلا :

– نعم .. ساؤدي واجبي كما اديته من قبل .. كما اديته في خلال تلك السنوات الطويلة الماضية .. أكنس الارض .. واجمع القمامة . واقدمها إليهم ليحرقوها .. فلا يكون منهم إلا ان ينثروها ثانية على الأرض وتناول "كيتروم" الأوراق الموضوعة امامه وجعل ينظر فيها . وساد الغرفة سكون شامل جعلت كلمات "فرساك" في خلاله تتجاوب وتدوي وترعد حتى لكانها وشيكة بان تهز المقاعد وتحطم النوافذ وأخرج "فرساك" منديله من جيبه فمسح به جبينه الذي كان يتصبب عرقا . وارسل بصره إلى الطريق منصتا إلى جلبة المركبات ودوي السيارات وغوغاء السابلة .. وقد خيل إليه ان هذه الضجة إنما هي صدى تلك الثورة العاتية التي اصطخبت في أعماق نفسه .

وسعل "كيتروم" وقطع حبل السكون بقوله :

– الم تعثر بعد على "ارسين لوبين" ؟

وكان صوته هادئا لطيفا وخاليا من اية لهجة تنم عن اللوم او التقريع .

فاجابه "فرساك" في اقتضاب :

– كلا .. لقد عهدت إلى " كيتري" و" بوناشي" بالبحث عنه . وقد طافا بالأمس باغلب الفنادق الكبيرة .

واحني "كيتروم" راسه وقال :

– إذا اسفرت تحرياتك عن نتيجة فانبئني .

ونهض " فرساك " واقفا ومشى إلى الباب منصرفا .

وفي منتصف الساعة الرابعة أرسلوا في استدعائه ليتولى التحقيق في مقتل "جاك اربول" .

إذن فقد بدا " ارسين لوبين " يعمل .!

الفصل الأول

دخلت الراهبة إلى الجناح الذي يشغل الطابق الأعلى من فندق استوريا باستعمالها مفتاحا اخرجته من تحت طيات ثوبها الأسود السابغ مما جعلها تحسره عن ساقيها - وقد يبدو هذا العمل لأكثر الناس تساهلا غريبا إلى حد ما .

ولما أوصدت الباب خلفها اخذت تصفر - وهذا العمل ايضا يبدو اكثر غرابة من سابقه في نظر اشد الناس تساهلا .

ولما عبرت قاعة الاستقبال تعثرت في السجادة فتمتمت تقول : "اللعنة ." في صوت خشن لا يليق إلا بالرجال - وهذا العمل منها كفيل بلا شك بان يثير اشد الناس تساهلا إلى درجة تجعله يحملق منهولا.

ولكن الرجل الذي كان جالسا في القاعة لم يحملق ولم تبد في وجهه امارات الذهول وإنما رفع عينيه عن الكتاب الذي كان يطالع فيه ونظر إلى الراهبة باسما .

وكان هذا الرجل طويل القامة عريض المنكبين وخط المشيب راسه وفي الغضون المنتشرة في وجهه ما ينم عن الألم والحزن وطول المقاساة .

وتكلم الشيخ قائلا :

- كيف الحال .. ؟

فاجابته الراهبة بقولها :

- على ما يرام .

ثم نزعت الوشاح الأسود الذي يغطي راسها واخذت تفك ازرار ثيابها ثم خلعتها دفعة واحدة والقت بها على الأريكة وهي تتنفس الصعداء .

ولكن الشيء الغريب أن هذه الراهبة انقلبت في غمضة عين فإذا هي رجل مديد القامة مفتول العضلات في عينيه مرح ودعابة وفي ابتسامته تهكم وسخرية وفي ملامحه ما يدل على إرادة من حديد !

وارتمى الرجل على احد المقاعد وبسط ساقيه امامه فقال له الشيخ العجوز :

- لقد جازفت بحياتك يا "لوبين" مجازفة خطيرة .
فضحك لوبين ضحكة رقيقة وقال وهو يشعل سيجارته :
- إن حب المجازفة يا عزيزي "بيل" يجري في عروقي مجري الدماء . وما يمر يوم إلا قذفت بنفسي في مغامرة جديدة حتى لقد أصبحت المغامرات عندي شيئا عاديا أشبه بتناول الطعام فلا تثير في اهتماما.
فهز الآخر رأسه وقال ناصحا :
- ولكن كان ينبغي أن لا تضاعف الخطر بتنبيه الأذهان إلى ما تنوي .
- أتقصد هذا الإنذار الذي أرسلته إلى "أربول" ... ؟ تلك هي عادتي ياصديقي .. لا أقدم على عمل إلا إذا أنذرت خصمي باليوم والساعة والدقيقة حتى يتخذ الأهبة لاستقبالي .. فلو لم أنذر "أربول" لشوهت بذلك سمعتي ولقال الناس إن "لوبين" أقدم على فعلته دون أن يرسل الإنذار المعهود خوفا وجبنا.. فهل ترضى أن يقال إنني جبان رعديد ! كلا .. كلا إن "لوبين" لا يخاف ولا يرهب حتى رجال العصابات المدججين بالمسدسات والمدافع الرشاشة .. إن "لوبين" هو "لوبين" سواء كان في فرنسا أو انجلترا أو أمريكا... !
وضحك "لوبين"مرة أخرى وكانت ضحكته رنانة طليقة تدل على أن صاحبها يحمل بين جنبيه قلبا خاليا من الهموم .
واستطرد "لوبين" قائلا :
- وهذا هو ما دعاني إلى أن أرسل إنذارى إلى "أربول" .. لست أنكر أن هذا الإنذار زاد الموقف دقة وصعوبة ولكنه هيا لي فرصة أظهر فيها ذكائي ونبوغي.. ولقد كان الأمر سهلا بل أسهل مما كنت أتوقع .. كان مسدسي مخبأ تحت طيات ثيابي .. تحت هذه العباءة البديعة التي تلبسها الراهبات لخدمة الدين فلبستها أنا لخدمة العدالة .. وعندما رأيت "أربول" خارجا من دار المحكمة مزهوا مبتسما لأنها أبرأت ساحته أطلقت عليه النار .. وكانت رصاصة واحدة ولكنها كانت كافية لأن " لوبين" لا يخطئ الهدف .. وفي اللحظة التي دوى فيها الطلق الناري انطلقت أجري .. ولكنني لم أجر هاربا وإنما جريت صوب القتيل وانحنيت فوقه وأنا أرسم علامة الصليب على صدره وجعلت

أحثه على أن يعترف بذنوبه ليغفرها الله له .. والناس ينظرون إلي حامدين الأقدار التي قيضت للمصاب راهبة يعترف على يديها قبل أن يلفظ النفس الأخير !

وفي اللحظة التي كنت جاثيا فيها إلى جوار القتيل كان رجال البوليس ورجال العصابة يبحثون عن القاتل وينظرون إلى كل من في المكان نظرات شزراء فاحصة . ولكن أحدا منهم لم يفكر في أن يلقي نظرة واحدة إلى الراهبة المقدسة الطاهرة .. !

وضحك الكهل وقال :

- إنك نابغة .. !

وأخرج "لوبين" مسدسه من جيبه وجعل ينظف ماسورته مما بها من أثر البارود المحترق .

وساد الصمت هنيهة ثم قال "لوبين" :

- إنك تعرف طبعا يا عزيزي "بيل" أنى رجل لا أسفك الدماء .. وعلى كثرة الجرائم التي ارتكبتها لم ألوث يدي بقطرة واحدة من الدم أما الآن فالأمر مختلف جدا .. كان من عادتي أن أجمع الأدلة ضد القتلة ثم أسلمهم للعدالة فتقتص منهم . ولكن هذه الخطة لن تجدي في هذه البلاد فإن لبعض قضاتكم ذمما مطاطة فالمجرم يقدم إليهم والدليل ثابت عليه ولكنهم يفرجون عنه لأسباب أنت أدرى بها مني .. فالعدالة في هذه البلاد مهيضة الجناح مهشمة الساق .. وقد جئت لكي أكون سيفها المصلت وخادمها الأمين .. فرجل العصابات الذي لا تدينه المحاكم ولا تقتص منه لن يفلت من قصاصي أنا .. وإنه لقصاص العدالة الحقة !

وسكت "لوبين" ثم استرسل قائلا :

- إني رجل لم أعتد أن أسفك دما .. ولكن قتلي "أربول" وأمثال "أربول" لا يمكن أن يعد جريمة .. إنهم يطغون ويعيثون في البلاد فسادا فيطلقون النار ذات اليمين وذات الشمال ويختطفون الأطفال الأبرياء فيقتلونهم دون رحمة أو شفقة . فهل أكون مجرما إذا قتلت أنا هؤلاء الرجال ؟ لا سيما إذا ذكرنا أنهم دائما يفلتون من القانون

فقال "بيل" مؤيدا :

- لو انني كنت قاضيا لاطلقت سراحك و لامرت بإقامة تمثال تمجيدا لك .. إن العدالة في هذه البلاد كما تقول انت في حاجة إلى من ينفذها .

ومشى الشيخ العجوز إلى النافذة ووقف ينظر منها إلى الطريق وقد عقد يديه خلف ظهره . والتفت فجاة إلى "لوبين" وقال :

- لقد حضر إلى هنا اليوم "كيتري" و"بوناشي" .

واستمر "لوبين" يصفر بضع لحظات ثم تمتم قائلا :

يؤسفني اني لم اكن حاضرا لاستقبلهما . فإني متلهف إلى مقابلة بعض رجال البوليس الامريكي لارى إن كانت الحقيقة منطبقة على ما اشهده في الافلام السينمائية .

فابتسم "بيل" وقال :

- إن الفرصة لن تفوتك على اي الاحوال لانهم الآن يسعون في إثرك. وإذا كان "كيتري" و"بوناشي" قد اخفقا في الاهتداء إلى مقر "ارسين لوبين" فليس مرجع ذلك إلى غباوتهما وسوء تصرفهما . وإنما إلى الحيلة التي لجا إليها "لوبين" ليخدع الباحثين عنه .

لقد مضى الشرطيان يتنقلان بين الفنادق المختلفة والبنسيونات المنتشرة في انحاء المدينة . مشيا حتى كلت منهما الاقدام وفحصا اسماء النزلاء حتى تورمت منهما العيون ، وفكرا حتى ركد منهما الذهن . ومع ذلك لم يسفر هذا البحث الشاق الطويل عن اية نتيجة . إلا طبعا اضطرارهما إلى شراء احذية جديدة .

واخيرا خطر لهما ان يلجا في البحث إلى طريقة اخرى فمضيا يسالان كتبة الفنادق وخدم المطاعم عما إذا كانوا قد راوا رجلا ازرق العينين اسود الشعر . طوله ست اقدام وبوصتان . ووزنه حوالي ٨٠ كجم . وبكتفه اليسرى ندب قديم .. كما جاء في الاوصاف الواردة من إدارة سكوتلاند يارد !

ولكنهما غفلا عن الشيء الوحيد الذي كان ينبغي عليهما ان يعلماه وهو ان يسالا مستر "ويليام فالكروس" المقيم بفندق استوريا عن سائقه الجديد وان يتحريا عن شخصيته .

وقال "لوبين" :

- لو ان رجال البوليس عثروا علي لجرى بيننا حديث ودي وانت تعلم اني لا احب الأحاديث الودية .

واخذ يقلب بين يديه مسدسه الذي كان لا يزال ماضيا في تنظيفه ثم رده إلى جيبه ومشى إلى النافذة ووقف إلى جوار صاحبه "ويليام بيل فالكروس" .

وكانت المدينة منبسطة امامهما بعماراتها الشاهقة التي تنطح السحب وابراجها العالية التي شقت طريقها في الجو كانما تريد ان تبلغ السماء .

فهناك على مرمى البصر كانت تقوم تلال جرداء لا حياة فيها ولكن الأرض ضاقت بالإنسان فاحال التل المجدب مدينة عامرة بالحياة وبالناس ولم يقنع بهذا بل اطلق ابنيته في الهواء كانما يزاحم الطيور في اجوائها .

وتنهد "فالكروس" وقال في صوت فيه نبرة رقيقة عطوف :

- لقد كنت اقيم هناك . !

ثم هز كتفيه في غير اكتراث وقال :

- هناك كثيرون يقولون ان نيويورك مدينة لا رواء لها لا تلبث النفس ان تمجها. ولكنني اؤكد لك اني احبها واحب تلك الايام التي امضيتها فيها قبل ان اضطر إلى الرحيل عن بيتي والإقامة في الفنادق ولم يقل "لوبين" شيئا .

كان "فالكروس" متالما متوجعا لانه رحل عن بيته واقام في فندق لايبعد عن هذا البيت اكثر من بضعة اميال . فماذا يكون من امر" لوبين" وبينه وبين داره ثلاثة آلاف من الأميال !

واسترسل "فالكروس" قائلا :

- ولكني لا استطيع ان اعود إلى بيتي إلا إذا انتقمت لهذه الروح الطاهرة التي ازهقها هؤلاء الأشقياء .إني ما مشيت في داري خطوة واحدة إلا انتصب امامي وجه طفلي المحبوب وصاح "بي" : "ابي انتقم لي ... انتقم لي" ولهذا ارسلت إليك

وتنهد" فالكروس" ثم استتلى قائلا :

- نعم كان يجب ان الجا إليك لان اعدائي اقوى مني . إني رجل

عجوز طاعن في السن ولا قبل لي بالقتال . اما انت فما تزال قويا نشطا . فانتقم لي. بل انتقم لهذا الصغير المسكين الذي فتك به هؤلاء الوحوش .

ودار الشيخ على عقبيه فجاة ونظر إلى "لوبين" نظرة طويلة حالمة . وكان "لوبين" واقفا امامه في ثوبه الأنيق المنسجم على بدنه وسيجارته بين شفتيه في وضع جذاب حتى ليخيل لمن يراه انه من أولئك الذين لاهم لهم إلا غزو قلوب النساء والشيء الوحيد الذي كان يناقض هذه الصورة إنما هو ذلك الوميض المنبعث من عينيه وتلك الابتسامة التهكمية التي تتالق على شفتيه . وتلك النظرة المتحدية الحافلة بالنضال

وكان "فالكروس" يعرف "لوبين" حق المعرفة ويعرف انه الرجل الوحيد الذي يصلح للقيام بهذه المهمة .

ووضع الشيخ يديه على عاتق "لوبين" وقال في ثقة وإيمان :

- نعم .. يجب ان تنتقم لي . يجب ان تنظف المدينة من هذه العصابات الدموية التي لا تتحرج عن قتل الأطفال الأبرياء . واعلم انك إن اخفقت في هذا فلن ينجح احد سواك . ولكني انصحك بان تلزم الحذر . إن أعداءك جبابرة اقوياء . والمدافع الرشاشة هي السلاح الوحيد الذي يحاربون به خصومهم . ولقد رايت من قبل حوادث كثيرة من هذا القبيل . لقد حاول قوم اكثر منك عددا واعز نفراً واشد نفوذا محاربة هذه العصابات فكانت النتيجة انهم قتلوا . قتلوا. في غمضة عين كانهم فئران حقيرة . فاحذر لنفسك يابني .

فابتسم "لوبين" ولم يجب

ارتد "لوبين" بذهنه إلى شهور خلت . إلى ذلك اليوم الذي قابل فيه "فالكروس"في احد مطاعم مدينة مدريد .

لم تكن بين الرجلين معرفة سابقة ولكن الظروف العارضة جعلت "لوبين" يقدم نفسه إلى المليونير الامريكي تحت اسمه الحقيقي . ذلك أن المليونير انس إليه في وحدته وحزنه . وتحدث إليه عن الأسباب التي حملته على التماس السلوى والعزاء في الأسفار والساحات . فتكلم عن طفله الصغير المحبوب وعن الساعات الحلوة التي كان يقضيها معه

في امريكا ثم تحدث عن الساعة الأليمة التي اختطف فيها الطفل وعن الساعة الأشد إيلاما التي وجد فيها قتيلا .

وقال الشيخ في صوت حزين :

- لا داعي للدخول في التفاصيل فإن الذكرى اليمة قاسية . ولكن يكفي أن اقول إن رجال البوليس قبضوا على اثنين او ثلاثة حامت حولهم الشبهات . ولكنك لا تدري الطريقة التي يجري بها التحقيق والمحاكمات في بلادنا . وحسبك أن تعلم ان التهمة لم تثبت على احد وأن القتلة المتوحشين انطلقوا في الشوارع احرارا ليفكروا في تدبير جريمة اخرى .

واسترسل الشيخ في صوته المتهدج المفجع قائلا :

- إن في بلادنا عصابات منظمة لا عمل لها إلا اختطاف الأطفال واقتضاء الفدية عنهم .. كانت هذه العصابات تشتغل بتهريب الكحوليات ايام التحريم فلما صرنا في عهد الإباحة تحول نشاطها إلى الخطف .. ولهذه العصابات زعماء يضعون الخطط ولهؤلاء الزعماء أصدقاء من رجال السياسة يحمونهم من سطوة القانون .. فإن هؤلاء السياسيين هم الذين يعينون قضاة محاكم الجنايات .. وهم الذين يعينون مديري البوليس فمن تمرد منهم على رغبات السياسي الفى نفسه في العام التالي مشردا في الطريق وقد حل في منصبه رجل اخر يعرف كيف يكون أداة طيعة في أيدي السياسيين المجرمين

ولم يكن هناك شك في أن هؤلاء المتهمين هم المجرمون الحقيقيون الذين قتلوا طفلي .. لقد اكد لي ذلك المفتش "فرساك" واطلعني على سوابقهم . ولكن لم يكن في وسعه ان يفعل شيئا ازاء ما للقضاة الخربي الذمة من اساليب ملتوية يستمدونها من القانون نفسه لإنقاذ أعداء القانون .. وتصور مبلغ المي حين رايت رجال العصابات القتلة يخرجون من دار المحكمة احرارا مبرئين .. اقسم لك اني شعرت إذ ذاك برغبة ملحة في أن أطلق النار عليهم ولو كان معي مسدسي لما احجمت لحظة واحدة !

ولما سمع "لوبين" حديث الرجل . اخذته الشفقة به . واثارت استنكاره وغضبه تلك الجريمة النكراء التي ذهب ضحيتها ذلك الطفل

البريء ووجد فضلا عن ذلك ان الفرصة سانحة لمقابلة الزملاء اعداء القانون في العالم الجديد . وان الانتقام للطفل البريء يصلح محكا لقوته ودهائه واساليبه بالقياس إلى اساليب رجال العصابات في امريكا . فقدم نفسه إلى المليونير باسمه الحقيقي . وصفته الحقيقية . وتطوع لخدمته .. وكان مما قاله له المليونير :

- انني سمعت عنك اشياء كثيرة .. لقد عجز القانون في بلادنا عن الاقتصاص من هؤلاء المجرمين .فالرجل الوحيد الذي يستطيع أن يقتص منهم يجب ان يكون نظيرهم : خارجا على القانون .. وانت هذا الرجل !

إن لدي مالا كثيرا اضعه تحت تصرفك لأعينك على تحقيق مهمتك .. وبهذا المال تستطيع ان تشتري كل ما يمكن ان يشترى بالمال : الذمم .. والضمائر .. والأعوان .. ولكن شيئا واحدا هو الذي سيقصر المال دون شرائه وأعني به الأمن والسلامة .. !

نعم .. فلست اكتم عنك الأخطار التي تستهدف لها ..انك تعرض نفسك للسجن .. ولرصاص اعدائك .. ولكن يجب أن تعلم اني سانقدك مليون ريال إذا نجحت في الاقتصاص من المجرمين الذين قتلوا طفلي المسكين ..

وهكذا جعل "لوبين" يستعيد إلى ذاكرته تفاصيل هذا الحديث الذي دار بينه وبين " فالكروس" في مدينة مدريد

وخيل إليه الآن وهو واقف عند النافذة إلى جوار "فالكروس" مرسلا بصره إلى مدينة نيويورك ان صوت ذلك الشيخ العجوز لا يزال يطن في اذنيه بنبراته الحزينة المتهدجة .

لم تكن هذه اول مرة زار فيها "لوبين" مدينة "نيويورك" إذ سبق له أن اقام فيها اياما طويلة على عهد تحريم الكحوليات .

وقد طرات على المدينة منذ ذلك العهد البعيد تغيرات كثيرة لا حصر لها فزحفت الدور إلى بقع كانت جرداء قاحلة . وقامت في مواضع البيوت الواطئة عمارات شاهقة ترتفع إلى عنان السماء حتى لقد كادت المدينة ان تستحيل شيئا جديدا يضل فيه الزائر .

ولكن "لوبين" على الرغم من هذا استطاع أن يهتدي بسهولة إلى

"كريس بلليني" الذي يقع في الشارع رقم ٤٥ .

ولو أن الذي قتل "اربول" واهاج عليه عصابات نيويورك شخص اخر غير "لوبين" لتوارى واختفى عن العيون خلف جدران مقامة وابواب موصدة وستائر مسدلة .. ولكن "لوبين" لم يكن من هذا الطراز ... إنه رجل لا يهاب الخطر ولا يهرب منه ..إنه يعلم أن العالم السفلي يبحث عنه وان رجال البوليس ينشدونه ولكنه مع ذلك ابى أن ينزوي في داره وان يقبع في ركن مظلم لا تراه فيه الابصار .

إنه يريد أن ياكل .. وهو يعلم أن "كريس بلليني" ابرع رجل في شي اللحم على النار . فهل ترده هذه المخاطر عن الذهاب إلى المطعم والتلذذ باكلة شهية لا يجد مثلها في لندن .. ؟ كلا .. سيذهب .. وسياكل ... ولو ضحى بحياته من اجل طبق من اللحم .. !

وهكذا سار "لوبين" صوب المطعم وقبعته مائلة فوق راسه في زاوية تتحدى وتتهكم .. وعيناه تشعان بوميض يهزا ويسخر .. وسيجارته بين شفتيه في وضع يوحى بانه خلي القلب والبال .

ودق "لوبين" جرس الباب ففتح بعد لحظات وظهر على عتبته ذلك الإيطالي البدين الذي لم يبرع احد في شي اللحم مثله والذي يعرف كيف يجتذب عميلا ليتناول من يده قطعة من اللحم ولو دفع حياته ثمنا لها .

وقال "ارسين لوبين" يخاطبه :

- كيف حالك يا "بلليني" .. ؟

ومرت لحظات والرجل لا يزال ناسيا هذا الزائر ثم اشرق ذهنه فجاة فهتف قائلا :

- يا إلهي .. ! اهذا انت .. ! اين كنت طوال هذه السنين الماضية . ؟

واشتبكت اليدان في مصافحة حارة مخلصة بينما كانت جلبة الجالسين في داخل المطعم وضحكاتهم تصل إلى اذني "لوبين" ممتزجة برنين الشوك والملاعق واستطرد الإيطالي قائلا :

- لماذا غبت عنا طويلا .. ؟ ولماذا لم تخطرني بقدومك حتى ادعو "الاولاد" إلى الحضور . ؟

فقال "لوبين" وهو يعلق قبعته على الشماعة :

- وهل "الاولاد" غائبون الليلة ؟
- نعم يا مسيو "لوبين" ولو انك اتصلت بي تليفونيا لدعوتهم لكي يرحبوا بالصديق القديم .
فهز "لوبين" راسه قائلا :
- إني مسرور لغيبتهم .. لو انهم كانوا حاضرين لما رحبوا بي
فقطب "بلليني" جبينه ثم قال معتذرا :
- إني أسف .. لقد نسيت ما حدث مما نكرته الصحف .. ولكن أعلم انك ستظل صديقي مدى الحياة ولو ثار ضدي "الاولاد" ونقم عليّ العالم السفلي - عالم المجرمين
فشد "لوبين" على يده بحرارة وهو يقول :
- شكرا لك .
وقاد "بلليني" زائره إلى قاعة الطعام الصغيرة الوحيدة التي يفخر بها هذا المطعم . فاستوى على مقعد خشبي غير مريح ولكنه كان سعيدا بان يلقى نفسه في هذا المكان بعيدا عن الرسميات وبعيدا عن تقاليد الجرسونات المتكلفة .. هنا يستطيع ان يجلس كما يشاء .. وان يمد ساقيه امامه وان ياكل اللحم في وحشية إذا اراد دون ان يكون موضعا للانتقاد وهدفا للنظرات الشزراء .
واقبل "بلليني" على زائره وقال يساله :
- هل اتيك بقدح من الشراب .. ؟
فاحنى "لوبين" راسه وقال :
- وقطعة من لحمك الشهي .. لا اقصد لحمك انت طبعا .. ؟
فضحك "بلليني" وقال :
- ولو سالتني قطعة من جسمي لما ضننت بها عليك
- ولكني لن اسالك لا ني لا احب اللحم العجوز .. ؟
ولما فرغ من طعامه بسط ساقيه أمامه واشعل سيجارته واخذ يدخن.
كان "لوبين" سعيدا رخي البال .. ولم يكن نادما على شيء ولم يؤنبه ضميره على تلك الجريمة التي ارتكبها منذ ساعات . فلو ان "اربول" ارتد حيا لما تردد "لوبين" لحظة واحدة في ان يطلق عليه النار . ففي

العالم جرائم يكون ارتكابها هو العدل بذاته .

وقتل "اربول" هواحد هذه الجرائم العادلة .

ولكن "اربول" لم يكن هو الهدف الحقيقي الذي ينشده "لوبين" فانه ليس في الواقع إلا ذنبا من الاذناب . وما كان "لوبين" ليقنع إلا بالراس الكبير .. قد يموت "اربول" وعشرات من امثاله ولكن الراس يبقى .. ويفرخ .. وينبت اذنابا جديدة . فالعلاج الوحيد هو بتر هذا الراس عند ذلك يكون "لوبين" قد انتقم للعدالة المهيضة الجناح .. ويكون ايضا قد ظفربالمليون دولار .. !

ولمح "لوبين" على مقعد قريب منه نسخة من جريدة " تلجرام" تركها صاحبها بعد ان فرغ منها . فتناولها والقى عليها نظرة سريعة فالفى نفسه علما من الاعلام يحتل اسمه الصدر . وأخذ الكاتب يطنب في وصف ما حدث في ذلك اليوم بجلسة محكمة الجنايات وكيف وقع ذلك الاعتداء على "اربول" على الرغم من وجوده في نفر من أصحابه المدججين بالسلاح .. !

وعلى حين فجاة قطب "لوبين" جبينه واختفت من ملامحه امارات الدعابة والمرح والتمعت عيناه بوميض نفاذ كانه حد الحسام حين فرغ من "اربول" ظل يسال نفسه عن الخطوة التالية التي ينبغي أن يتخذها .. إنه لا يستطيع أن يظل في مكانه مكتوف اليدين إذ لابد له أن يعمل. ولكن ما الميدان الذي سيوجه إليه نشاطه ؟

وقد جاء الجواب من ذلك المقال الذي قراه في صحيفة " تلجرام" نعم.. من هنا يجب أن يبدا

وارتدت إلى شفتيه ابتسامته المعهودة .

ونهض "لوبين" عن مقعده ومشى إلى صاحب المطعم فوضع يديه على منكبيه وقال :

-إني ذاهب .

فتجهم وجه الإيطالي وقال :

- ابهذه السرعة ؟

فاحنى "لوبين" راسه وقال :

- ولكني ساعود .. ان اللحم الذي يخرج من يديك لا يزال شهيا

لنيذا.

وعبر القاعة وهو يرسل من فمه صفيرا خفيفا . ولما مر بمقصورة التليفون دخل إليها وتناول الدليل فقلبه حتى انتهى إلى الاسم الذي يبحث عنه . ولكنه لم يتحدث إليه وإنما حفظ عنوانه في ذاكرته .

وعندما وقفت به السيارة في الشارع العاشر قفز منها إلى الإفريز في خفة وراح يمشي وهو يتصفح ارقام المنازل .

وكان يسير ويده في جيبه وسيجارته بين شفتيه وخطواته مسترخية مترهلة كانه عاطل يتسكع .

ولكنه لم يكن متسكعا وإنما كان ينشد غاية كبرى .. كان ينشد الانتقام للعدالة المحطمة من احد الذين هدموا قطعة من تمثالها المقدس.

وظل في طريقه حتى انتهى إلى البيت الذي يبحث عنه .

وشمله بنظرة واحدة وراى في جدرانه بروزا ونتوءا يهون عليه تسلقه .

ودار "لوبين" حول البيت فلمح نافذة مضاءة في الطابق الثاني والستائر مسدلة عليها . فصح عزمه على ان يجعل من هذه النافذة هدفه المقصود وقد رجح لديه انها لا بد ان تكون قاعة المكتبة لما عرفه عن النظام الحديث لتنسيق الغرف .

وكانت عند الباب سيارة عليها شارة لا توضع إلا على سيارات كبار موظفي الحكومة . فاستنتج من ذلك أن صاحب الدار – وهو من كبار الموظفين – لابد ان يكون موجودا .

ودنا "لوبين" من البيت حين اطمان إلى انقطاع اقدام السابلة ووثب في خفة الفهد فتعلق بنتوء في الجدار . وفي بضع حركات سريعة خفيفة كان قد بلغ أسفل النافذة المضاءة .

ولبث هناك هنيهة ليسترد انفاسه واقفا على إفريز بارز في الجدار .

وكان هذا الإفريز منخفضا عن حافة النافذة وليس بينهما إلا خطوة واحدة فلو ان "لوبين" اجتاز هذه الخطوة لصار في داخل الغرفة . ولم يتردد "لوبين" ولم يطل به التفكير فاجتاز هذه الخطوة وتخطى حافة النافذة التي كانت مفتوحة والستار مسدل عليها !

وبهذه الخطوة صار في داخل الغرفة دون ان ينبض في صدره عرق واحد بالندم .

* * *

في هذه الدنيا كثيرون من السذج والبلهاء تستقر في اذهانهم عن القضاة صور خاطئة زائفة لاظل لها من الحقيقة .. فهم يعتقدون ان القاضي قديس مطهر يرتفع فوق الشبهات ويسمو عن مظان الريب .. وانه رجل يقتل نفسه في خدمة العدالة ونصرتها .. وانه في مثل هذه الساعة من الليل يكون معتكفا في داره منكبا فوق كتب القانون يدرس قضاياه العويصة منصتا إلى صرخات المظلومين حارما نفسه لذائذ الحياة ومتعاتها .

نعم ... هذا هو ما يتصوره السذج والبلهاء عن القضاة ولكن إنصافا للواقع وتقريرا للحقيقة يجب ان نقول ان "ارسين لوبين" لم يكن من هؤلاء .

قد يكون بين القضاة قديسون مطهرون .. وقد يكون من بينهم من يفني نفسه في سبيل الحق والعدل ... ولكن يجب الا ننسى ان من بينهم ايضا القاضي "واليس ناتير" وامثاله !

ولو كان "لوبين" يؤمن بان القضاة على تلك الصورة التي ذكرناها لزعزع هذا الاعتقاد في نفسه أن يرى بينهم رجلا من طراز "ناتير"

كان "لوبين" واقفا خلف الستار ينظر إلى داخل القاعة من خلال فرجتين .. وهناك .. على قيد خطوتين اثنتين منه ... كان القاضي "واليس ناتير" جالسا إلى مكتبه وامامه رزمة ضخمة من اوراق النقد الكبيرة وهو يجري اصابعه عليها ليعدها وقسمات وجهه ناطقة باجلى ايات الجشع والشره .

كان القاضي رجلا بدينا قصير القامة كانه كتلة من اللحم غير مسواة ركب فوقها راس اصلع تتوسط وجهه عينان ضيقتان فيهما خبث ونزالة .

ويظهر ان نتيجة العد قد ارضته إذ ابتسم واخذ يجمع الاوراق ويرصها ويضمها بعضها إلى بعض في رفق واهتمام كانه ام تحنو على صغارها .. !

وتناول ورقة صغيرة مطوية كانت على المكتب تحت احد الأثقال فنشرها والقى عليها نظرة عاجلة .. ثم ابتسم للمرة الثانية وكور الورقة وقذف بها إلى سلة المهملات الموضوعة إلى جانبه .
واخذ رزمة الاوراق المالية واخذ يحرك اطرافها باصابعه منصتا إلى خشخشتها كانما تستحيل في اذنيه انغاما عذبة ناعمة .
وكان "لوبين" لا يزال خلف الستار يرقب هذا المشهد وقد انتشى واسكره ما يرى .. هذه هي العظمة الحقة .. العظمة التي تتمثل في تلك البساطة التامة .. بساطة لا زيف فيها ولا رياء .
في هذه الدنيا قوم من المعتوهين يزعمون ان المال شر وانه لا يجلب لصاحبه السعادة .. فاين هم .. ؟ اين هم الآن . ليروا القاضي "واليس ناتير" وهو يبدو اسعد الناس .. وانظاره مستقرة على رزمة الأوراق المالية .. !
المال لا يجلب السعادة ! هراء ! سخف ! هذيان !
لو ان هذا كان صحيحا لما راى "لوبين" القاضي "ناتير" كما يراه الآن باسما راضيا تنطق تعابير سحنته بانه أسعد الناس واهنؤهم بالا.
وشق على "لوبين" ان يفسد بتدخله هذا المشهد البديع .. شق عليه ان يهبط بالقاضي من حالق السعادة إلى هاوية الألم .. ! ولكن ما العمل ولا بد له من ان يتدخل .
وازاح "لوبين" الستار وقال :
– طاب مساؤك ياسيدي القاضي !
ومن الإنصاف إن نقول ان "لوبين" بذل اقصى الجهد حتى يخفف من وقع الصدمة على القاضي .. فنطق بهذه الجملة في صوت رقيق عطوف فياض بالحنو والمودة . ولكنه تنهد قنوطا ويأسا حين راى ان مقاصده الشريفة النبيلة لم تتحقق .
لم يكد القاضي "ناتير" يسمع هذه التحية الكريمة حتى اتى في لحظة واحدة ثلاث حركات مختلفة : فاولا افلتت يده رزمة الأوراق المالية . وثانيا دار بمقعده اللفاف .. وثالثا امتدت يده إلى درج جانبي في مكتبه .
وقد سقطت الرزمة .. ودار المقعد . اما الحركة الثالثة فهي الوحيدة

التي لم تتم .. !

لقد رأى أمامه فوهة مسدس تتهدده بالموت ... ورأى عينين هازئتين عابثتين تنظران إليه ..

وكانت هذه النظرات أشد اثرا في نفسه من المسدس .

ومرت بضع ثوان والقاضي المحترم جامد في مكانه وصدره يعلو وينخفض وانفاسه مبهورة متلاحقة . وهو يحملق في الرجل الواقف أمامه دون ان يسعفه ذهنه بكلمة واحدة .

واخيرا - وفي جهد ملموس جعل جبينه يتصبب عرقا - حاول أن ينفض عن نفسه هذا الخوف المفاجئ الذي استولى عليه .

وهم بان ينهض عن مقعده .. وهذه الحركة لم تتجاوز دائرة التفكير والنية فقد رأى "لوبين" يهز المسدس في يده هزة لم يخف مغزاها على القاضي الذكي فجمد في مكانه مستكينا .. وكانما خشي "لوبين" ان يتبادر إلى ذهن القاضي انه يهدده ويتوعده فقال مفسرا :

- لا تزعج نفسك يا صديقي العزيز ..إني اعلم ان آداب السلوك تقضي على رب الدار بان ينهض واقفا وهو يستقبل زائريه .. ولكن لا داعي لان تتمسك بهذه التقاليد فإني رجل ديمقراطي شديد التساهل . فابق مكانك ولا تتعب قدميك !

ونحى القاضي بصره عن المسدس ونظر إلى وجه "لوبين" .

وكان صوته ينسجم مع هذا الوجه .. كلاهما ينم عن الاستهزاء والاستخفاف... كلاهما فيه جراة وقلة اكتراث .. كلاهما مثير . مخيف يلقى الرعب في القلوب .

وللمرة الثانية غاض اللون من وجه القاضي بعد ان كان قد بدأ يستجمع شجاعته .

ولكن الموقف كان يقتضي منه ان يتكلم وان يقول ولو جملة واحدة .

وتكلم "ناتير" ونطق بهذه الجملة فقال :

- ما معنى هذه المهزلة السخيفة ؟

ولكنه حين سمع صوت نفسه اجفل ودهش ..

كان صوته رفيعا حادا متحشرجا .. كان اشبه بنعيق غراب .. او رنين إناء مشروخ .. او ذبحة حيوان مخنوق .

ومهما يكن من أمر فقد انكر انه صوته .

وتمتم "لوبين" قائلا :

- اجلس انبئك بما تسال عنه .. اما إذا ابيت ان تجلس فهذا شانك بالتاكيد.. ولكن يجب ان تعلم اني لقيت في طريقي حانوتا يبيع توابيت الموتى باسعار رخيصة أعجبني منها تابوت يتسع لقدك النحيل الأهيف .. ! ولا تنس ايضا ان هذا يوم مبارك لمن يريد ان يموت !

واضطر القاضي "ناتير" إلى الجلوس لأنه يكره ان يموت سواء كان اليوم مباركا او غير مبارك .

وابتسم "لوبين" وقال :

- شكراً لك :

ثم مشى إلى الباب فاوصده بالمفتاح ورجع إلى المكتب فاستوى جالسا على حافته في رشاقة وجعل يطوح ساقه في استرخاء كانه شاب يلهو ويعبث وقد تسمرت نظراته النفاذة على وجه القاضي المحترم .

واوما "لوبين" بفوهة مسدسه إلى رزمة الأوراق المالية الموضوعة على المكتب وقال :

- كاني به مبلغ جسيم .. ! إنه يغريني بان اتناسى مبادئي الشريفة !

فقال القاضي على الفور :

- إذن فانت تبغي السرقة ؟

واستشف "لوبين" في صوته نبرة تدل على الارتياح .

وهز راسه نفيا وحملق في سائله بعينين بريئتين دهشتين وقال :

- إنك تخطئ فهمي يا عزيزي القاضي .. لقد اردت فقط ان اريك اني اناضل في نفسي هذا الإغراء .. إني إنما حضرت ابغي التعرف إليك وتبادل حديث ودي معك .. اريد ان أعرف اين ولدت .. ؟ ولماذا ؟ وما رايك في نزع السلاح ؟ وهل وجهك دائما دميم بهذا الشكل ام ان سيارة داست فوقه فشوهت معالمه .. ؟ كلا يا صديقي .. إني ما اتيت لأ سرق .. ! إني رجل شريف لا امد يداً إلى مال سواي !

واستقر بصره للمرة الثانية على رزمة الاوراق النقدية وبان التردد في عينيه كانما يغالب في نفسه قوة قاهرة تغريه بالاستيلاء عليها .

ورطب القاضي شفتيه بلسانه ثم قال في صوته المذبوح :

- ما هذا الهذيان ؟

- زيارة ودية ليس إلا ؟

وعاد "لوبين" ينظر إلى الأوراق المالية .. ولاح عليه ان فكرة السرقة بدأت ترسخ في ذهنه فتنهد وقال :

- يظهر اني ساضطر إلى الاستيلاء على هذه الأوراق .. إن رؤيتي لها تشغل ذهني وتصرفني عما انا فيه .. إنها تغازلني !

وقست نظرات القاضي "ناتير" وطافت بذهنه خواطر شتى ولكن مسدس "ارسين لوبين" المصوب إليه الزمه مكانه إذ كان يعلم ان المسدسات صنعت لتقتل لا لتكون العوبة يلهو بها الناس .

ولما راى "لوبين" يتناول رزمة الأوراق ويدسها في جيبه انطلقت عقدة لسانهِ فصاح قائلا :

- تبا لك . ! إنك لن تفلت من العقاب !

فقال "لوبين" في لهجة مرحة :

- إني اعلم ذلك .. وإني اعرف بانه لم يكن من سداد الرأى أن افعل هذا معك انت بالذات وفي مقدورك ان تؤلب ضدي قوات البوليس باسرها .. ومما يؤسف له حقا انك لم تشعر نحوي باي شعور ودي وإلا لامضينا سهرة شائقة ممتعة وصرنا من الاصدقاء . فلو فرض وقبض على بعد ذلك وحوكمت امامك لكان رجائي قويا في ان تبرئ ساحتي كما ابرات من قبل ساحة صديقك العزيز "جاك اربول" ..اعني المرحوم "جاك اربول" .

وغاض اللون من وجه القاضي "ناتير" وابرقت عيناه ببريق الشر وانحدرت قطرات العرق على خديه .

وقال "لوبين" مسترسلا :

- ولكن لا تغضب .. خبرني كم المبلغ الذي اقترضته منك حتى اعطيك عنه إيصالا ؟

فاجابه القاضي :

- عشرون الف دولار .
فهز "لوبين" راسه قائلا :
- ثمن لا باس به لشراء الذمم والضمائر .
واتسعت حدقتا القاضي رعبا وفزعا ولكنه لاذ بالصمت فلم يقل شيئاً .
وابتسم "لوبين" وقال في صوت رقيق :
- اعذرني إذ اذهلتني المفاجاة عن أن اقدم إليك نفسي ، .. إنني ادعى "لوبين" .. "ارسين لوبين" .. ولاشك انك سمعت عني .
ولم يكن "لوبين" في حاجة إلى جواب عن سؤاله فإن الذعر الذي ارتسم في عيني القاضي كان اصدق جواب عن هذا السؤال .
وازدرد المسكين ريقه وقد جف حلقه وتكلم في صوت متهدج خرج من بين شفتين مرتعدتين قائلا :
- إذن فانت الرجل الذي ارسل إلى "اربول" ذلك الإنذار ؟
فاحنى "لوبين" راسه وقال :
- وانا ايضا الرجل الذي قتل "اربول" ! انت افرجت عنه وانا قتلته .
وتململ القاضي في مقعده في خوف وانزعاج وقد شعر بان اعصابه بدات تخونه وانه لم يعد يقوى على المقاومة .
وتكلم في صوت متهدج مبحوح قائلا :
- ماذا تريد ؟
فجعل "لوبين" يهز ساقه كانها رقاص الساعة وقال :
- لقد حضرت لاتحدث إليك . كنت اظن انك تعرف اشياء كثيرة .. لقد سمعت عنك انك صديق حميم "لجاك اربول" وذكرت الصحف اليوم انك انت الرجل الذي صرح "لاربول" بحمل السلاح الذي مكنه من قتل "إنسكي" وانت الرجل الذي افرجت عنه حين قبض عليه البوليس رهن التحقيق . وانت الذي ارجات قضيته مرة بعد مرة وشهراً بعد شهر . واخيرا انت الرجل الذي نطقت اليوم ببراءته . وهناك مسالة اخرى قديمة وهي انك انت الذي ابرات "اربول" منذ ثلاث سنوات حين حوكم امامك لقتله طفلا يدعى "ويلي فالكروس"
وسكت "لوبين" هنيهة ثم استرسل قائلا :

- فهذا هو تاريخ حياتك . ولهذا جئت اسعى إلى مقابلتك لانني ارجو ان اجد فيك صديقا ينفعني وقت الضيق كما نفعت من قبل "جاك" واعوانه .

الفصل الثاني

اعتصم "واليس ناتير" بالصمت ولم ينبس بكلمة واحدة .. وكان غارقا في مقعده كانه كتلة من اللحم لا حياة فيها ولا شعور . ولكن الوميض الذي يشع من عينيه كان الدليل الوحيد على انه حي يفهم ويدرك وكان وميضا حافلا باجلى امارات الحقد والغضب . ولكن "لوبين" لم يكن حديث عهد بمثل هذه النظرات فاسترسل في حديثه غير عابئ بها :

– قبل أن ادخل هذه الغرفة رايتك تقرا ورقة صغيرة يلوح لي ان لها علاقة بالعشرين الف دولار التي اقترضتها منك .

فقال القاضي في خشونة :

– لست ادري عم تتحدث ؟

– احقا ؟

وكان صوت "لوبين" ظريفا . ولكن الوميض المنبعث من عينيه كان لا يزال امضى من نصل السيف .

– إذن فانت لا تدري عم اتحدث .. دعني انبه ذاكرتك ياصديقي لقد كورت الرقعة وقذفت بها إلى سلة المهملات وهي لا تزال هناك واحب أن أراها .

فارتعد "ناتير" وازدرد ريقه وقال :

– ولماذا لا تاخذها مادمت تعرف مكانها ؟

– لأنني لا اريد أن أهيئ لك فرصة تنقض فيها علي وانا منحن فوق السلة . هيا ابحث عنها واتني بها !

وكان صوت "لوبين" حادا قاسيا كانه فرقعة سوط على ظهر حيوان عنيد عاص . وارتعد القاضي "ناتير" ولكنه لبث مكانه جامدا لا يتحرك. وساد الغرفة جو خانق . وتبددت الإبتسامة التي كانت مرتسمة على شفتي "لوبين" واشتدت نظراته إذ اعتاد طول حياته ان يامر فيطاع فكانت هذه أول مرة يعصى له فيها امر يصدره !

وتفرس "لوبين" في وجه القاضي وعرف على الفور الخاطر الجديد الذي وثب إلى ذهنه .. كان "ناتير" يفكر في أن يستجمع شجاعته

وجراته فينقض على "لوبين" في حركة فجائية يائسة ويختطف المسدس من يده .
وأراد "لوبين" أن يفهم القاضي انه ليس غافلا عن هذه الخواطر الجنونية التي تدور في ذهنه فقال في صوته الهادىء :
- المعروف عني اني لا أجيد إصابة الهدف ولكن المسافة التي بيني وبينك لا تزيد عن قدمين فلااحسبني ساخطىء المرمى .
فقال القاضي بصوته المختنق :
- إنك لن تجرؤ على إطلاق النار .
ونطق القاضي بهذه الجملة لكي يبث في نفسه الشجاعة . فكان جواب "لوبين" ان قال في برود :
- لا اجرؤ ! إني لا اعرف هذه الكلمة ! وينبغي أن تتذكر ياصديقي العزيز ان الناس في هذه البلاد لا يحملون المسدسات لمجرد الزينة .
وكان "لوبين" وهو ينطق بهذه الكلمات يفكر في السبب الذي يجعل القاضي "ناتير" يجازف بحياته هذه المجازفة اليائسة وهو يعلم انه قد يستهدف للموت .. أيفعل ذلك من اجل عشرين الف دولار ؟
كلا .. فمهما بلغت به الحماقة فإنه لن يهدر دمه من أجل هذا المبلغ التافه .
إذن فلابد ان يكون هناك دافع آخر يحمله على هذه المجازفة .
ولم يكن "لوبين" في حاجة إلى شيء من الذكاء لكي يدرك أن الرقعة الملقاة في سلة المهملات هي هذا الدافع !
لابد أن في الكلمات المخطوطة عليها سراً يهم القاضي ان يبقى دفينا مكتوما .. سرا يجعله يواجه الموت ويتزحزح في مقعده خلسة وهو يفكر في الوثوب على "ارسين لوبين" .
لم يكن "لوبين" غافلا عن تلك الحركات المختلسة .. فهاهو ذا "ناتير" يتحرك في مقعده تدريجيا ويستجمع قوته ليثب الوثبة القاتلة .
نعم .. قاتلة لان "لوبين" ما كان ليتردد في ان يطلق عليه النار . لقد انذره وحذره فإذا صم اذنيه عن النصيحة فهو الجاني على نفسه .. وتكون الأقدار هي التي تريد له الموت لتخلص العالم من قاض يحمي

المجرمين الدمويين . حقيقة ، إن صوت الطلق الناري كفيل بان ينبه الخدم فيخفوا سراعا إلى نجدة سيدهم . ولكن قبل ان يصلوا إلى باب القاعة المغلقة يكون "لوبين" قد التقط الرقعة من سلة المهملات وتخطى النافذة إلى نتوء الجدار وهبط منه إلى الطريق قبل ان يفكراحد في اغتصاب باب الغرفة .

وجعل "لوبين" يتفرس في القاضي ويده على زناد المسدس منتظرا الوثبة القاتلة .

ولكن الوثبة لم تتم والرصاصة لم تنطلق !

وذلك ان جرس التليفون دق في تلك اللحظة فافسد الخطة التي كان ينتويها القاضي إذ التفت مسرعا إلى جهاز التليفون وانتقل بخواطره إلى تلك الناحية وقد ارتسمت في عينيه دلائل ذعر جديد !

وكان على الطاولة جهازان للتليفون يتصلان بالخارج عن طريق واحد ، إذ المفروض ان يستعمل السكرتير احدهما بينما يستعمل القاضي الثاني في نفس اللحظة ليكون على بينة مما يقال للسكرتير .

وتناول "لوبين" إحدى السماعتين وهو يقول :

- اجب على هذا النداء ايها الاخ .

وكان صوته رقيقا متوسلا . ولكن الحركة التي بدرت من مسدسه عكست هذه الرقة لانها كانت نذيرا بالموت إذا ابى القاضي ان يتكلم . وتناول القاضي "ناتير" السماعة الأخرى ووضعها على اذنه وقال في صوته المذبوح :

- انا القاضي "ناتير" .

وسمع "لوبين" صوتا نسائيا يقول :

- إنني فاي .

وكان الصوت عذبا موسيقيا يفتن السامع .. وكان "لوبين" مغتبطا وهو يصغي إليه إذ كان من هذه الأصوات التي لاتنسى مدى الحياة ..؟

واسترسلت فاي قائلة :

- إن الرفيق الكبير يطلب إليك ان تبقى الليلة في دارك .. إنه قد يحتاج إليك.

وابرقت عينا "ناتير" ثم نظر إلى "لوبين" في خوف جديد .

وحرك "لوبين" مسدسه بتلك الطريقة التي لايخفي مغزاها على القاضي الفطن.

وقال القاضي مجيبا :

– حسنا .. لن اخرج الليلة .

واختتمت فاي حديثها بقولها :

– شكراً .

ثم قطعت المواصلة التليفونية .

ولم يفهم "لوبين" طبعا الغاية المقصودة من هذا الحديث . وماهو السبب الذي يجعل الرفيق الكبير يطلب إلى القاضي أن يبقى في البيت بل لم يكن يعرف من هو الرفيق الكبير ..

وكان القاضي "ناتير" يعرف جواب هذه الأسئلة دون شك . ولكن "لوبين" لم يكن يطمع ان يظفر منه بالجواب المنشود .

وقال "لوبين" باسما :

– هذا شيء لطيف .. !

فقطب القاضي جبينه وقال :

– إنها إحدى عميلاتي .

– لطيف جداً .. إني لم اكن اعرف ان للقضاة عملاء وعميلات . المفروض في القاضي أن يكون نزيها عادلا .. ولست اشك في انها على غاية من الجمال مادام لها هذا الصوت الموسيقي .. خبرني ياصديقي العزيز أهناك سر تكتمه عني .. ؟

فقال القاضي في صوت جاف :

– إلى متى تدوم هذه المهزلة .. ؟

– ستدوم إلى أن يدركني الملل .. ولعلك تلاحظ اني لم اتثاءب بعد .. وإذا سألتني رايي بصفتي ناقدا فنيا قلت لك إن الفصل الثاني خير من الفصل الأول .. وأرجو أن يكون الفصل الثالث خيرا من الاثنين .. فهل لك في أن تزيدني إيضاحا عن الرفيق الكبير .. إني رجل شديد الفضول .

فومضت عينا "ناتير" بنظرات ينبعث منها الشرر وقال :

– إني اكون مجنونا إذا تكلمت ..!

- بل تكون مجنونا لو ابيت ان تتكلم .
- اذهب إلى الجحيم .
فقال "لوبين" في هدوء :
- ولكنك ستسبقني .
ونهض "لوبين" واقفا عن حافة المكتب ودنا من القاضي وهو يقول :
- إنك عنيد ياصديقي .. فهل تجهل أن "لوبين" قد اعتاد ان يطاع ؟ احسبتني حضرت إليك لأستمتع بمراى وجهك الجميل .. ؟إنك تعرف من انا وتعرف أن لي في السوق تاريخا قديما . فهيا تكلم وإلا ..
- وإلا ماذا .. ؟
فحرك "لوبين" مسدسه و الصق فوهته في صدر القاضي وقال :
- وإلا ارسلتك إلى " اربول" لتحمل إليه تحياتي !
وضاقت عينا القاضي وبان الذعر في عينيه فقال "لوبين" يحذره :
- وإياك ان تكذب .. وإلا فإن حانوت التوابيت لا يزال مفتوحا حتى هذه الساعة .. ؟
ورطب "ناتير" شفتيه بلسانه إذ كان يعلم الخطر المحدق به .. لم يكن في لهجة "لوبين" او في نظراته او في حركاته مايدل على انه يهزل فيما يقول .. وكان "ناتير" يعرف حق المعرفة - وحادث "اربول" لا يزال حاضرا في ذهنه - إنه امام معتوه لن يتردد في ان يطلق عليه النار .
وفتح القاضي فكيه ليتكلم .. وقبل أن تنطلق من فمه كلمة واحدة ارتفع خارج القاعة وقع اقدام تقترب .
وارهف "لوبين" اذنيه للسمع .. واستنتج من طريقة المشية المنتظمة أن صاحبها لابد ان يكون أحد الخدم .
ورفع "ناتير" راسه وقد انتعش رجاؤه وقوي امله في النجاة ولكن فوهة المسدس التي تضغط صدره كانت لاتزال في وضعها الأول .
وهمس "لوبين" يقول في صوت خافت :
- إن الحماقة قتالة .. فاحذر لنفسك .
وقرع الباب على اثر ذلك قرعتين خفيفتين !
ونظر "ناتير" إلى "لوبين" مستفسرا عما ينبغي ان يفعل إذ كان يخشى ان يقدم على الحركة او ينطق بكلمة تجلب له الهلاك .

وقال "لوبين" همسا :

- سله ماذا يريد ؟

فصاح القاضي في صوت مرتفع قائلا :

- ماذا تريد ؟

فجاءه جواب الخادم يقول :

- المفتش "فرساك" يطلب مقابلتك لأمر هام .

ونظر "ناتير" إلى "لوبين" وقد اتسعت حدقتاه . اما "لوبين" فابتسم . لم يكن "لوبين" خائفا . ولم يرفي قدوم المفتش مايحمله على تعديل خطته .. بل لقد راى في ذلك على العكس . فرصة تمهد له سبيلا إلى النضال .

وقال "لوبين" في صوت خافت :

- دعه يصعد .

فاسرع "ناتير" يقول للخادم :

- دعه يصعد .

وقد نطق بهذه الجملة في سرعة عجيبة كانما يخشى ان يرجع "لوبين" عن رايه . وكانت هذه هي اول مرة نفذ فيها امر "لوبين" بطيب خاطر .

واخذ وقع قدمي الخادم يخف تدريجيا وهو يبتعد عن الغرفة . ولبث القاضي صامتا وهو يترقب قدوم المفتش "فرساك" إذ كان يعتقد أن وجوده كفيل بان ينقذه من الخطر الذي يتهدده . ولكن الشيء الوحيد الذي ادهشه هو ان "لوبين" لم يعارض في صعود المفتش !

وقال "لوبين" معبرا عن الخواطر التي جالت في راس القاضي :

- لا تدهش ياعزيزي . ولا تحسبن اني أنوي الفرار إذ الواقع اني كنت شديد التلهف إلى مقابلة المفتش "فرساك" .

وحملق "ناتير" دهشا في هذا المعتوه الذي يعلم أن مفتش البوليس سيدخل الغرفة بعد لحظات فلا يفكر في الهرب بل يظل في مكانه هادئا باسما كانه ينتظر مجيء صديق عزيز . . !

ولأول مرة ابتسم القاضي وقال :

- وسيتحقق رجاؤك .. !

واشعل "لوبين" سيجارته ومضى يدخن في تلذذ وينفث من بين شفتيه حلقات كثيفة من الدخان يتابعها بنظراته وهي تتلوى في الهواء وتتبدد صاعدة إلى السقف .

لم يكن في هيئته ماينم عن الخوف .. بل كان هادئا بارد الأعصاب . والومضات التي تنبعث من عينيه لا تزال على عهدها نفاذة حادة .

واقترب "لوبين" من سلة المهملات وضربها بقدمه فانقلبت وتناثرت منها الأوراق فانحنى في سرعة البرق والتقط من بينها الرقعة المكورة قبل أن يفطن القاضي "ناتير" إلى ماحدث .. ! ثم فتح درج المكتب الذي امتدت إليه يد القاضي عندما فاجاه "لوبين" فوجد فيه مسدسا تناوله ودسه في جيبه .

ثم مشى إلى ركن الغرفة فسحب مقعدا كان هناك واداره بحيث صار مسنده الخلفي إلى الباب الذي سيدخل منه المفتش "فرساك" . وجلس على هذا المقعد ليحجبه المسند عن نظر المفتش عند دخوله .

ونفض "لوبين" رماد سيجارته على السجادة النفيسة وهو يقول :

– عندما يحضر "فرساك" افتح له الباب وادخله ثم عد إلى مقعدك . افاهم ما اقول ؟

ولكن "ناتير" لم يفهم شيئا .. إذ كان لا يشغل ذهنه إلا التفكير فيما سيقع في الدقائق القليلة الآتية ..إن قدوم المفتش "فرساك" اشبه شيء باستجابة دعاء حار لبته الاقدار في التو واللحظة . فبظهور المفتش على المسرح يستطيع "ناتير" ان يسترد الرقعة السرية .. بل يستطيع ان يقبض على هذا الشيطان .

وقطع عليه "لوبين" حبل تصوراته بقوله :

– ساضع مسدسي في جيبي .. ولكن اعلم اني سريع الحركة وان في وسعي أن أخرجه في غمضة عين .. فإذا حاولت ان تشي بي فسيموت احدنا . ولن يكون الميت انا على اي الأحوال .

وتطاير الشرر من عيني "ناتير" وقال في لهجة بطيئة تهديدية :

– في يوم ما . يوم قريب .. سنلتقي .

فقال "لوبين" باسما :

– طبعا سنلتقي .. في سجن "سنج سنج" .. ساكون انا زائرا

وستكون انت ضيفا مقيما .
وانتهى إلى سمعهما وقع خطوات الخادم وهو يدنو من القاعة مقترنا بوقع ثقيل منتظم .
ونقر الخادم على الباب وقال :
- المفتش "فرساك" ياسيدي .
واشار "لوبين" إلى القاضي بالنهوض فعبر القاعة ومشى إلى الباب ولكنه كان في كل خطوة يخطوها يشعر تمام الشعور بان المسدس المخبا مصوب إلى ظهره وان اية خيانة ياتيها كفيلة بان تضع حدا لحياته .
وادار القاضي المفتاح في ثقب الباب ثم فتحه فظهر المفتش "فرساك" على عتبة القاعة بقامته الطويلة ومنكبيه العريضين .

* * *

واستهل المفتش "فرساك" حديثه بان قال في صوت جاف :
- ماالداعي إلى إيصادك الباب بالمفتاح .. ؟ هل انت خائف ؟
واغلق القاضي الباب دون أن يجيب على هذا السؤال فتبرع "لوبين" بالإجابة - إني انا الذي اغلقته . فهل تتكرم بإغلاقه ثانية ياحضرة القاضي ولم يكد "فرساك" يسمع أول كلمة من هذا القول حتى دار على عقبيه دهشا إذ لم يكن قد راى "لوبين" عند دخوله .
وتفرس المفتش في وجه ذلك الشاب الجالس على المقعد الكبير الوثير ثم ارسل بصره إلى القاضي متسائلا وازاح قبعته إلى الوراء وحك بإصبعه الجزء الواقع خلف اذنه وقال :
- من هذا ؟
فهز القاضي "ناتير" كتفيه في استخفاف قائلا :
- مجنون .. !
وتغاضى "لوبين" عن هذه الإهانة التي وجهت إليه واستمر يتامل الزائر .
ولم تكن هذه الصورة غريبة عنه بل سبق له ان راى نظيرها في دور السينما .. "ففرساك" خير مثال للبوليس السري الأمريكي .
ولكن الشيء الذي راقه فيه مايبدو في عينيه من دلائل الأمانة

والنزاهة .. فهذه النظرات الصادقة المخلصة لا يمكن ان تصدر عن رجل خرب الذمة .

وفي هذه البلاد قل ان تجد شرطيا لم يمد يده إلى مال ليس له حق فيه .

وابتسم "لوبين" في وجه الرجل ولكنه قابل هذه الابتسامة بان قطب جبينه وبان عليه الغضب .

وتمتم "لوبين" قائلا :

- الم تعرفني ياحضرة المفتش .. ؟ هذا شيء يؤسف له .. لقد كنت اعتقد اني اشهر من ذلك . ولكن يظهر اني مخدوع في نفسي .

واشتدت نظرات المفتش وتقلصت جبهته ثم هز راسه وقال :

- يخيل إلي اني اعرف هذا الوجه .. ولكن لست اذكر اين رايته فقال "لوبين" في لهجة تدل على الاعتذار :

- لابد ان الصورة لم تكن متقنة .. إذ كيف تنسى وجهي وقد كنت منذ بضع ساعات توزع نسخا من صورتي على الصحفيين ؟

فاشرق ذهن "فرساك" فجاة كومضة البرق الخاطفة !

وارسلت عيناه لهيبا كالجمر وتصلب فكاه وتقدم إلى ناحية "لوبين" ثلاث خطوات وهو يقول :

- "ارسين لوبين" !

- بعينه .. بلحمه ودمه .. عندما علمت بزيارتك اثرت ان انتظر حتى القاك .

وكانت المفاجاة غير منتظرة فلبث "فرساك" منهولا هنيهة وهو يتساءل عما يدعو "لوبين" إلى ان يقدم نفسه إليه فريسة سهلة .

وقال المفتش في صوت خشن :

- إني اريدك ايها الصديق .

وامتدت يده بسرعة إلى جيبه الخلفي ليخرج مسدسه !

ولكن يده جمدت في الهواء على قيد بوصة واحدة من جيبه .. وذلك انه راى امامه مسدسا مصوبا إليه !

وقال "لوبين" معتذرا :

- إني آسف . !

وكان آسفا حقا !

واسترسل قائلا :

- إني اكره أن يقبض علي أحد .. ولعلك قد أدركت ذلك من الاطلاع علي قائمة سوابقي .. أن القبض علي حلم لا يمكن أن يتحقق .

ثم ضحك "لوبين" واسترسل قائلا :

- أتظن ياصاح اني بقيت هنا لكي اقدم نفسي هدية لك ؟

وجعل "فرساك" ينظر إلى المسدس نظرات يتطاير منها الشرر وهو صامت لا يتكلم .

وسرى القلق إلى صدر "لوبين" إذ كان يخشى أن يقدم "فرساك" على تلك الحماقة الكبرى فينقض عليه فيضطر إلى إطلاق النار دفاعا عن نفسه .

ولم يكن بعيدا أن يفعل "فرساك" هذا وله هذه الذقن المدببة البارزة التي تدل على قوة الإرادة وعلى أن صاحبها ليس من الطراز الذي يخضع لأمر يصدر إليه .

وكان "لوبين" يمقت بطبيعة الحال أن يطلق النار على رجل "كفرساك" يعد فخرا لرجال البوليس في تلك البلاد .

وكز "فرساك" باسنانه غيظا ثم هز كتفيه في غير اكتراث قائلا :

- ولكن مامعنى هذا ؟

فاجابه "لوبين" بصوته الهادىء :

- سهرة عائلية .. فاجلس واشترك معنا .. الا تعرف بعض الحكايات المسلية!

وسحب "فرساك" مقعدا وجلس عليه مواجها "أرسين لوبين" .

لقد اخفق في القبض عليه .. فاي ضير في أن يصغى إلى ما يقال ؟

وقال متسائلا :

- ماذا تفعل هنا ؟

وكانت نبرات صوته تدل - ولأول مرة - على الاحترام والتقدير

وأوما "لوبين" بمسدسه إلى القاضي يامره بالجلوس ثم التفت إلى "فرساك" وقال :

- هل لي في أن أوجه إليك نفس السؤال ؟

ونظر "فرساك" إلى القاضي مفكرا .
واستشف "لوبين" في هذه النظرة اجلى مظاهر الازدراء !
ثم تحول بغتة إلى "لوبين" وقال في خشونة :
- لا تسلني عن شيء .
ومضى "لوبين" ينظر إلى القاضي وإلى المفتش ثم قال :
- بودي ان اجمع بينكما في صورة واحدة .. القاضي حامي العدالة .. والشرطي منفذ العدالة .. الا تعتقد يا "فرساك" انها تكون صورة بديعة لبيت شعري .. ماذا نسميها ؟ نعم .. فلنسمها : خرافة العدالة
فتجهم وجه المفتش ، وتململ القاضي في مقعده ، وساد الغرفة سكون قصير قطعه المفتش وهو يقول بخشونته المعهودة :
- اتعرف بعض حكايات خرافية غير هذه ؟
فابتسم "لوبين" وقال :
- حكايات كثيرة .. وساقص عليك احدثها عهدا .. يحكى انه كان هناك في سالف العصر والأوان مدينة عظيمة تعد من اغنى المدن في العالم .. وكان للمدينة ابراج عالية ترتفع إلى عنان السماء وطرقات مرصوفة بالدر والياقوت .
وكان اهل المدينة سعداء هانئي البال متحابين مخلصين .. إلى ان جاء يوم قذف إليهم البحر اخطبوطا هائل الحجم له انياب طويلة إذا بسطها بلغت اعلى الأبراج . وخاف الناس بطش الاخطبوط فاخذوا يعملون على إرضائه حتى سمن وكبر على طعام من الدم والذهب وشرف الرجال !
وسكت "لوبين" وارتفع صوت "فرساك" يقول في مرارة :
- هذه ليست قصة خرافية .. إنها اصدق من ان تكون مضحكة .
- ومن انباك باني اردت منها ان تكون قصة مضحكة .. "فرساك" إنك تعلم السبب الذي دفعني إلى القدوم إلى بلادكم .. بعد ظهر اليوم قمت بعمل مجيد بقتلي "اربول" .. كان المفروض طبعا ان يقوم القاضي "ناتير" بهذا الواجب . ولكنه اهمل فتقدمت انا إلى الميدان .. لقد كان "إنسكي" صديقا لك .. اليس كذلك ؟
فتقلصت عضلات وجه المفتش وقال :

- إنك تعرف الشيء الكثير فيما أرى ؟

- وأعرف أيضا أن القاضي "ناتير" صديق حميم "لجاك اربول" .. ولهذا جئت أسعى إلى مقابلته ولكنني لم أكد أمضي في رفقته نصف الساعة حتى حضرت أنت .. لقد سألتك منذ هنيهة عما دعاك إلى الحضور . ومازلت عند سؤالي .

ونظر "فرساك" إلى القاضي الذي كان متهالكا على مقعده لا يتكلم ولا يتحرك. والعرق البارد يتصبب على جبينه .

ثم عاد "فرساك" ينظر إلى "لوبين" وقال :

- ليس من عادتي أن أجيب عن الأسئلة التي توجه إلي .

فنفث "لوبين" من فمه حلقة من الدخان نظر من خلالها إلى وجه المفتش الذي يدل على الصلابة والعناد وقال :

- فليكن .. ولكن هل لك في أن تترجم لي جملة لم أفهم معناها بعد ؟

- وما هذه الجملة ؟

"الرفيق الكبير يطلب منك أن تبقى الليلة في دارك فقد يحتاج إليك" .

وكانت هذه هي نفس الجملة التي رددتها الفتاة المجهولة "فاي" وهي تخاطب القاضي "ناتير" تليفونيا . إذ كان "لوبين" شديد التلهف إلى معرفة معناها ومعرفة شخصية ذلك الرجل الذي يرمزون إليه "بالرفيق الكبير" .

ولو أن "لوبين" ألقى في القاعة قنبلة لما أحدثت الأثر الذي أحدثه نطقه بهذه الجملة . ! فلم يكد "ناتير" يسمعها حتى احتبست أنفاسه وأخذ صدره يعلو وينخفض وأصيب بالفواق لشدة انفعاله . أما المفتش "فرساك" فما أن سمع هذه الجملة حتى هب واقفا وقد اتسعت عيناه ثم ضاقتا واستحالت نظراته جمرات من اللهب !

وصاح "فرساك" في صوت مذبوح :

- كرر هذه الجملة !

فابتسم "لوبين" وقال :

- ألم تدرك ماأريد .. ؟ كنت أسألك أن تفهمني شيئا غمض علي .

- ولماذا تسأل ؟

ورأى القاضي "ناتير" أن الموقف قد تحرج وأنه يوشك أن يتكشف عن

اشياء ينبغي ان تظل مكتومة مستورة . فصاح قائلا بصوته الأجش :
- هذا شيء لا يطاق ! اليس في وسعك ان تفعل شيئا يا "فرساك" بدلا من ان تصغي إلى هذا المجنون ؟
فنظر إليه "فرساك" في ازدراء وقال :
- بالتاكيد .. انتزع منه هذا المسدس واقبض لك عليه .
فصرخ "ناتير" قائلا :
- ساشكوك إلى مدير البوليس .. إقسم اني ساعمل على طردك من منصبك ! مافائدة القوانين إذن إذا جاء إلى بيتي مجنون يتهددني بمسدسه تحت سمعك وبصرك !
فقال "لوبين" مكملا :
- وما فائدة القوانين إذا برا القضاة رجال العصابات الذين يقتلون الشرطة.. ! هيا بنا ياعزيزي "ناتير" نشترك معا ونرفع احتجاجا في هذا الشان ؟
واحتبس الكلام في صدر "ناتير" ونهض "لوبين" واقفا وفي نيته ان ينصرف إذ كان يعتقد ان لافائدة ترجى من بقائه . وحسبه ان هذه المقابلة تبشر بمعركة قريبة
ودنا من المكتب ورفع غطاء الصندوق البرونزي الموضوع فوقه وتناول منه سيجارا كبيرا شمه وهو يقول :
- يجب ان اشكرك ياعزيزي "ناتير" .. إنك تختار سجائرك من اغلى الأصناف .. كلا .. كلا .. حسبي سيجارا واحدا . ارجوك الا تلح علي ..إنك كريم جدا ولا يسعدني ان ارفض رجاءك .. !
وافرغ في جيبه صندوق السجائر .. !
ثم دنا من النافذة وهو يقول :
- والآن يجب ان انصرف .. إني اعرف بالتاكيد ان القاضي "ناتير" يحب ان يستبقيني اكثر من ذلك ليحتفي بي وليحوطني بترحيبه الصادق ولكنني اخشى ان تنزعج "ماما" لغيابي .. غير اني اعدك بان ازورك في وقت قريب واطفئ لهيب الشوق الذي يتاجج في صدرك !
ثم التفت إلى المفتش "فرساك" وقال :
- ولا ضرورة ياعزيزي "فرساك" لأن تسرع إلى النافذة لكي تلوح لي

بيدك مودعا .. ! فلك ان تلوح الآن بيدك كما تشاء .. ولا تنس ان في مسدسي ست طلقات.

وتخطى "لوبين" حافة النافذة ووقف على نتوء الجدار وقال :

- وداعا .. !

ثم توارى عن الأنظار .

ولم يحاول المفتش "فرساك" ان يلحق به . بل لبث مكانه مرسلا بصره إلى الظلام الذي يشمل الأرض خارج النافذة

ثم علت شفتيه ابتسامة خفيفة وقال :

- هذا رجل يمكنني ان احبه .. !

فتجهم وجه القاضي "ناتير" وصاح قائلا :

- يمكنك ان تخرج انت ايضا .. ولكنك ستسمع عن ذلك فيما بعد

فقال "فرساك" في برود :

- اما انت فستسمع عنه الآن .. !

وكانت في صوته نبرة تهديدية جعلت القاضي يلوذ بالصمت .

وتكلم "فرساك" .. ولم يكن الحديث طويلا . إذ كان المفتش اشبه برجال الأعمال الذين يؤثرون الإيجاز والاقتضاب .. ولم يحاول اثناء حديثه أن ينتقي كلمات رقيقة او أن يتلطف فيما يقول بل افضى بما في نفسه مستعملا اقسى العبارات واشدها وقعا في النفس .

ولما غادر القاعة كان قد ترك وراءه القاضي "ناتير" يرتعد ويرتعش وهو ممتقع الوجه .

وبعد ثلاث دقائق من خروج "ارسين لوبين" من النافذة كان "فرساك" يخرج من باب البيت ويصعد إلى سيارته الواقفة عند الإفريز فيرتمي على المقعد ويوصد الباب في شدة وغضب .

وعلى حين فجاة سمع إلى جانبه صوتا يقول :

- ارفع يديك .. ! إننا ذاهبان للنزهة معا .. !

وكان هذا صوت "ارسين لوبين" .. !

* * *

لم يكد المفتش "فرساك" يسمع هذه الكلمات حتى فغر فمه ذهولا .

عندما خرج من بيت القاضي "ناتير" كان منهمكا في التفكير في ذلك

الحديث الذي دار بينه وبين القاضي فصرفته خواطره عن التنبه إلى اقتراب "ارسين لوبين" من السيارة وفتحه الباب في خفة وصعوده إليها . وفضلا عن هذا فلم يخطر له ببال ان "لوبين" لا يزال موجودا في المكان إذ المفروض انه اغتنم فرصة إفلاته ناجيا من النافذة وانطلق راكضا باقصى سرعته .

ولكن هاهو ذا لم يهرب . وهاهو ذا لم يركض .. بل لقد كان جالسا إلى جواره ومسدسه مثبت في جنب المفتش "فرساك" .

وقال "فرساك" متسائلا :

– ماغرضك من هذا ؟

سنتنزه معا .. إنيَ اريد ان اتحدث إليك واغلب ظني انك مثلي راغب في التحدث إلي فاذهب بنا إلى اي مكان شئت .

وتقلص وجه المفتش ولاح عليه انه يغالب تلك الثورة المصطخبة في اعماق نفسه ..إنه رجل جلاد وكفاح وما اعتاد ان يحني هامته امام إنسان .. ولكن هاهو ذا "لوبين" يصدر إليه امره مرة بعد مرة .. لقد هزمه في بيت القاضي . وهاهو ذا يهزمه للمرة الثانية .

وللصبر حدود .. وللكرامة حق على الإنسان .

ولكن "فرساك" مالبث أن كظم مابنفسه وقال في صوت ليست فيه نبرة واحدة تدل على الغضب :

– اتحب أن نذهب إلى الحديقة .. ؟

– كما تشاء .

وانطلق المفتش بسيارته وهو صامت لا يتكلم .

وبعد فترة من الوقت قال "لوبين" :

– لقد كلت يدي بحمل هذا المسدس .. فهل ترى ضرورة للاستمرار على ذلك.. الا يحسن بنا ان نتصافى ؟

فقال "فرساك" مجيبا :

– لا مانع عندي .

ووضع "لوبين" مسدسه في جيبه وقد ايقن ان في وسعه ان يعتمد على شرف هذا الشرطي .

ولما انتهت السيارة إلى(سنترال بارك) اوقفها المفتش في مكان

منعزل والتفت إلى "لوبين" وقال :

- والآن ما لعبتك .. ؟

فكان جواب "لوبين" :

- إنها نفس لعبتك .. إنك تعمل في حدود القانون . اما انا فاعمل خارج حدود القانون .. لكل منا طريق خاص يسلكه ولكن الهدف واحد .. ويلوح لي ان طريقي اقصر واسهل .

فارسل "فرساك" بصره إلى الطريق وقال :

- إني أعلم ذلك .. ولهذا لم أحاول أن أمد إليك يدا .. لقد كنت في هذا الصباح اتحدث إلى مدير البوليس واقول له إني ساحب اي شخص يخلصنا من هذا الفار الحقير "اربول" .. ولكنك لن تفلت طويلا من العقاب .

- كن مطمئنا . فالإفلات مهنتي التي تدربت عليها سنوات طويلة .

فقال "فرساك" في لهجة تنم عن الاسى :

- اما مهنتي فتقضي عليَّ بان اقبض عليك وانتزع منك اعترافا وارسلك إلى المحكمة .. وقد افعل هذا غدا فاحذر لنفسك .. إني لا اجهل نياتك الطيبة ولكنك على الرغم من هذا لا تزال في نظر القانون مجرما لابد من القبض عليه .. إن هذه المدينة تعج بابناء العالم السفلي فلا ضرورة إلى ان نزيدهم واحدا .. نعم إني أحبك ولكن واجبي قبل كل شيء .

فقال "ارسين لوبين" :

- إني احمد فيك هذه الصراحة .. ولكن ارجوك الاتنسى ان عندي مثلك واجبا ينبغي ان أؤديه .. لقد حضرت إلى هذه المدينة لانظفها من السفاحين .. وانت تريد ان تقبض علي فهل افهم من ذلك انك لا تقرني على خطتي .. ؟

فقال "فرساك" في خشونة :

- قلت لك إن واجبي فوق كل شيء .

- حسنا .. ولكن دعني على الاقل اوجه إليك سؤالا :

- سل مابدا لك .

- من هو الرفيق الكبير .. ؟

فاخرج "فرساك" سيجارا قضم طرفه باسنانه ثم قال :

- ليتني اعرف .. ! إن زعماء العصابات يتخذون لانفسهم هذه الالقاب الرنانة الطنانة ليستمدوا منها مايبث الشجاعة في نفوس اعوانهم وهذه مسالة نفسية معروفة .. للاسم الضخم دوي يترك اثرا .. فلدينا من زعماء العصابات من يسمي نفسه "الوالد الكبير" او "القنبلة" او "المدفع" إلى غير ذلك من الأسماء الجوفاء .

- إذن فانت لا تعرف هذا "الرفيق الكبير" ؟

- كلا .. إنه رمز لرجل مجهول .. رمز لذلك الرجل الذي يحرك العصابة الدموية التي منها "موري والينو" و"داتش كيلمان" و"ماك جير" .. إنه اكبر من هؤلاء جميعا واكثرهم سطوة ونفوذا .إنه الرجل الذي نصب من نفسه ملكا .. للعالم السفلي .. ولكن أين سمعت باسمه؟

فابتسم "لوبين" وقال :

- كنت استرق السمع ..إنها رذيلة سيئة من رذائلي .

- اين ؟ عند القاضي "ناتير" ؟

- خمن كما تشاء .

وجذب "فرساك" نفسا طويلا من سيجارته جعل طرفها يلتمع في الظلام كانه جمرة ملتهبة .

ثم قال في صوت متهدج :

- اصغ إليَّ .. إني لن اكذبك في حرف واحد مما تقول عن رجال البوليس او عن القضاة في هذه البلاد .. لقد مضت سنوات والعدالة مهيضة الجناح .. لقد مضت سنوات والحكم للحديد والنار لا للعدل والقانون .. ولكن سياتي يوم اظفر فيه بهؤلاء الوحوش واقتص منهم ولو كانوا في حماية اكبر القضاة .. وإذا كانت هذه الجملة التي ذكرتها لي قيلت للقاضي "ناتير" فهذا دليل بين على أن له بتلك العصابة الدموية صلة وثيقة .. فساظل طول عمري ابحث وانقب حتى اكتشف سر هذه العلاقة واقيم الدليل عليها .

- ولكن مامعنى هذه الجملة .. ؟ ولماذا يكون الرفيق الكبير في حاجة إلى القاضي "ناتير" ؟

فقال "فرساك" في صوت ينطوي على المرارة :

- إنك لا تعرف الكثير من نظمنا ولوائحنا .. فاصغ إلي .. من المحتمل جدا ان تلك العصابة تنوي ان تقوم الليلة بعمل ما ومن المحتمل ايضا ان يقع بعض افرادها في ايدي البوليس فيساقون إلى التحقيق .. وللتحقيق عندنا اساليب تختلف عن الأساليب المتبعة في بلادكم .. هناك يسالون المتهم فيجيب او لا يجيب .. اما هنا فنضربه لكي يجيب .. ندخل به إلى القاعة الخلفية المسماة بقاعة التعذيب وهناك يضرب بهراوة من المطاط تؤلمه اشد الإيلام ولكنها لا تترك اثرا في البدن .. وصدقني إن هذا هو القصاص الوحيد الذي ينزل بهؤلاء الوحوش .. ولكنهم لا يرضون به .. فيسرع المحامون إلى قضاة من امثال "ناتير" لكي يستصدروا منه امرأ بالإفراج قبل ان تبدا عملية التعذيب .. فإذا كانت العصابة قد طلبت إلى القاضي "ناتير" ان يلزم داره في تلك الليلة فهذا دليل على انهم يبيتون النية على القيام بجريمة جديدة وانهم يخشون ان يقع بعض رجالهم في أيدي البوليس فيكونون في حاجة إلى "ناتير" ليصدر امر الإفراج .

فهز "لوبين" راسه وقال :

- فهمت .

ونظر إليه "فرساك" وقال مستفسرا :

- ومن الذي أصدر هذا الامر ؟

- لا ادري .. لقد جرى الحديث بالتليفون .

كان "لوبين" يعرف ان فاي هي التي اصدرت هذا الأمر نقلا عن "الرفيق الكبير" ولكنه كتم هذه المعلومات عن "فرساك" رغم عطفه عليه حتى لا يتيح له فرصة للسبق عليه .

وساد الصمت هنيهة ثم قال "فرساك" متسائلا :

ما الذي دعاك إلى زيارة "ناتير" ؟

فابتسم "لوبين" وقال :

- لقد وجهت إليك هذا السؤال من قبل فلم احظ بالجواب ... ولكنني لن اكرره لأني وقفت تحت النافذة وسمعت مادار بينكما . فحملق المفتش في "لوبين" وقال في دهشة : وقفت تحت النافذة ؟

- نعم .. الم اقل لك ان من رذائلي الولع باستراق السمع ؟

- ولكني كنت أحسبك قد انطلقت هاربا !

- إن الجري فرارا من رجال البوليس يليق بروايات "شارلي شابلن" ولكنه لا يليق باسمي وكرامتي ... وصدقني اني كنت شديد الإعجاب بك وانا اصغي إلى الكلمات التي كانت تتدفق من فمك في اذني القاضي " ناتير" .. إن لك أسلوبا غاية في البلاغة !

فقال المفتش "فرساك" مزمجرا :

- كان ينبغي أن أصارحه بكل ما يجول في نفسي .. لقد افرج عن "اربول" والدنيا باسرها تعلم انه هو القاتل ... إني اعلم اني كنت شديد الوطاة على "ناتير" وانه قد يتمكن بنفوذه من نقلي إلى منصب حقير .. ولكني لا ابالي .. حسبي راحة البال

وساد الصمت فترة من الوقت ثم تكلم "فرساك" قائلا :

- إن السياسة هي التي افسدت القضاء في هذه البلاد .. هناك جماعة سياسية منظمة تسمي نفسها جمعية "تاماني" ورئيسها رجل يدعى "روبرت اركريد" ولهذه الجمعية وسائل بارعة في الدعاية الانتخابية حتى يمكن أن يقال إنها تقبض بيد من حديد على الناخبين وتحركهم كيف شاءت . فمن تتقدم هذه الجماعة لمعاونته يضمن لنفسه الفوز في الانتخاب . وهذه الجمعية إنما تعتمد في تحقيق اغراضها على فئة من المجرمين يلجئون إلى الإرهاب والتهديد .

وهناك ايضا النائب العمومي المسمى "ماركوس بيلد" وهو رجل خرب الذمة لا يرسل القضايا المعهودة إلا إلى قضاة من امثال "ناتير" ولعلك لاتجهل ان القضاة هنا ينتخبون مرة كل عام . فإذا ما عرضت امام احدهم قضية كبيرة راح يسائل نفسه هل للمتهم علاقة باحد رجال السياسة ؟ وهل لذلك السياسي نفوذ في دوائر الحكومة ؟ فإذا كان الأمر كذلك ضمن المتهم البراءة وضمن القاضي تجديد انتخابه في العام التالي . والويل للقاضي الذي يرسل إلى السجن متهما له سند بين رجال السياسة ذوي النفوذ .

وهناك مسالة اخرى مهمة وهي أن السياسيين هم الذين يعينون مديري البوليس .. فإذا امروهم بان يفتحوا عيونهم فتحوها .. وإذا

امروهم بان يغمضوها اغمضوها .. ولعل غلطتهم الوحيدة انهم عينوا في المنصب مديرنا الحالي "كيتروم" فهو رجل عنيد يابى ان يتلقى امرا من احد . وقد استطاع في خلال السنوات القليلة التي تولى فيها منصبه ان يظفر بحب الناس وتاييدهم له حتى لم يعد السياسيون يجرءون على فصله من عمله وإلا البوا ضدهم الجماهير والغوغاء .. ولكن الفائدة قليلة محدودة فإن "كيتروم" يقدم المتهمين والأدلة إلى النائب العمومي "ماركوس بليد" وامثاله وإلى القاضي "ناتير" وامثاله .. فتكون النتيجة هدم الأدلة والإفراج عن المتهمين .

نعم يامسيو "لوبين" .. إن في هذه المدينة جماعة من المجرمين يمرحون ويعيثون في البلاد فسادا دون ان يخشوا القصاص لان السياسيين يحمونهم من سطوة القانون .. ولذلك فشا الخطف والقتل والابتزاز بالتهديد وكل موبقة ورذيلة .. "والرفيق الأكبر" إنما يهتم بنوع خاص بالخطف وهي مهنة جزيلة الربح مضمونة الفائدة .. وتصور نفسك في موقف رجل خطف ابنه.او اخوه او زوجته او اخته ..الا ترضى عن طيب خاطر بان تفتديه باي قدر من المال مهما عظم ؟

فاحنى "لوبين" راسه مؤمنا .

ثم قال فجاة :

– ومن يكون "بابيلوس" ؟

فابتسم "فرساك" وقال :

– إنك فيما ارى تعرف اشياء كثيرة .. "بابيلوس" هو الذي يتولى حساب الدخل والمنصرف باسم "والينو" .. اعني انه امين الصندوق .

– ومن يكون "والينو" ؟

– إنه من زعماء تلك العصابات الدموية .. رجل متانق في ملبسه يصفف شعره ويدهنه بشتى الزيوت والدهون .. إنه يعتقد في نفسه انه "رودلف فالنتينو" الثاني . ولكنه لا يخرج من داره إلا في سيارة مقفلة مصفحة .. ولا يمشي إلا وفي ظله حارسان مدججان بالسلاح !

– اليست له مهنة يزاولها ؟

– بلى .. إنه يدير ناديا من اكبر اندية القمار في "برودواي" .. وقد دهمت ناديه مرتين او ثلاثا ولكن الامر صدر بالإفراج عنه حتى قبل ان

يبلغ باب السجن .. فاذهب إليه ياصديقي واقتله إذا شئت فلن الومك .
- واين اجده ؟
فاجاب "فرساك" في هدوء :
- حانة "شارلي" .. بالشارع رقم ٤٩ وهناك ايضا فتاة تدعى "فاي ادوراردس" يمكنك ..
وبتر المفتش جملته إذ ارتفع في هذه اللحظة صوت ثالث صادر من جهاز الراديو المثبت في السيارة .
وكان الصوت الآلي يقول :
- النداء لجميع السيارات . النداء لجميع السيارات . "فيولا وعمرها ست سنوات اختطفت من منزلها في ميدان "ساتون" ..
واعتدل "فرساك" في مقعده وتصلبت عضلات وجهه وهتف قائلا :
- إذن فقد ارتكبوا جريمتهم .. !!
واستمر الصوت الآلي قائلا :
- هرب الخاطفون في سيارة مقفلة بنية اللون .. الأرقام الثلاثة الأولى هي خمسة .. خمسة .. ثلاثة او خمسة .. خمسة .. اثنان .. المفتش "فرساك" مطلوب ليتولى التحقيق .. المفتش "فرساك" مطلوب ليتولى التحقيق .. النداء لجميع السيارات..
وهب "ارسين لوبين" واقفا وهو يقول :
- شكرا لك .. وداعا .. هذه مهمتك ولا شان لي بها .
وقفز إلى الأرض في الوقت الذي انطلقت فيه السيارة باقصى سرعتها تلبية لنداء الواجب
واشعل "لوبين" سيجارة وجذب منها بضعة انفاس ثم اخرج من جيبه ورقة صغيرة هي تلك الرقعة التي كورها القاضي "ناتير" والقاها في سلة المهملات .
ونظر "لوبين" في الورقة وقرا فيها للمرة الثانية نفس الجملة التي سبق ان قراها من قبل :

"شكرا – بابيلوس"

وكان واضحا ان هذه الرقعة ارفقت بالعشرين الف دولار التي ارسلها "بابيلوس" إلى القاضي ناتير . اما الشكر فكان راجعا بطبيعة

الحال إلى تبرئته السفاح "اربول" .

وقال "لوبين" في نفسه :

- لقد انار"فرساك" الطريق .. انتهينا من " ناتير" فلم يبق إلا "بابيلوس" .. ثم "موري" و"الينو" .. واخيرا نصل إلى "الرفيق الكبير" .

الفصل الثالث

صعد "ارسين لوبين" إلى الطابق الأخير من فندق "استوريا" بواسطة المصعد الخاص فالفى "فالكروس" في انتظاره . فارتسمت على شفتي الشيخ الهرم ابتسامة تدل على الاطمئنان وقال :

- يسرني انك عدت يا لوبين فقد بدأ القلق يسري إلى نفسي .

- لقد تاخرت حقيقة اكثر مما كنت اتوقع . فقد دعوت المفتش "فرساك" إلى نزهة قصيرة .

وومضت عيناه ابتهاجا وهو ينظر إلى امارات الاستغراب التي بدت على وجه "فالكروس" .

واعد "لوبين" لنفسه اقداح الشراب واشعل سيجارته وهو يقول :

- لعمري ، إني لادهش لكم معشر الامريكيين . إن سجائركم قبيحة المذاق تنفر منها النفس .. وإني لاسائل نفسي كيف تطيقون تدخين هذه الأنواع التي تغمر الأسواق .. هل هي دخان حقيقة ام خرق بالية فرمت وحشيت بها اللفائف..؟

فابتسم "فالكروس" وقال :

- إذا كنت تنوي الاتحدثني إلا عن السجائر فاولى بي ان اعود إلى كتابي .

- إذن اصغ إلي ..

وانشا "لوبين" يحدث المليونير الهرم عن تفاصيل المغامرة التي قام بها . واختتم حديثه بقوله :

- يظهر الا خطر في ان يؤخذ الإنسان إلى نزهة صغيرة .. لقد اخذت "فرساك" واعدته سليما معافى . ولذلك صح عزمي على ان اجعلهم ياخذونني إلى نزهة صغيرة .

فقال "فالكروس" ناصحا :

- ولكن نزهتك ستكون من طراز آخر . ستكون نزهة قاتلة !

- فليكن . فإني لا آبالي إن هذه المجازفة هي الوسيلة الوحيدة الكفيلة بان تدنيني من الغاية التي انشدها .

وساد الصمت هنيهة ثم اردف "لوبين" قائلا :

- ليت شعري .. هل تحجرت القلوب حتى يمد الإنسان يده إلى طفلة صغيرة بريئة فيختطفها او يباعد بينها وبين اهلها . ! ومن أجل هذا إذن استبقوا القاضي " ناتير" في داره حتى يامر بالإفراج عمن يقع منهم في أيدي رجال البوليس .

وهب "لوبين" واقفا وهو يقول :

- إني خارج .

فنظر إليه "فالكروس" مستفسرا ثم قال :

- ولكنك أرهقت نفسك اليوم بالعمل فيحسن بك أن تستريح .

فهز "لوبين" راسه في حزن واسى وقال :

- وكيف تطيب لي الراحة وانا اعلم ان في ميدان "ساتون" رجلا مسكينا يمزق الحزن قلبه قلقا على طفلته التي اختطفها هؤلاء الوحوش . ساجعلهم ياخذونني إلى تلك النزهة في هذه الليلة بالذات !

ونظر إليه "فالكروس" في إعجاب وقال :

- لو أن الأيام ارتدت بي إلى الوراء عشرين سنة لتابطت ذراعك ولصحبتك إلى هذه المعركة .

فوضع "لوبين" يده على كتفه في رفق وهو يقول :

- شكرا لك .. إن "الجميلة" تجعلني في غنى عن المساعدة .

اما "الجميلة" فلقب يطلقه "لوبين" على تلك المدية التي يشدها إلى ساعده والتي طالما نفعته في المواقف الحرجة . فاذا مافتش اعداؤه جيوبه وجردوه من مسدسه استعان عليهم "بالجميلة" التي لا يكاد يفطن إلى وجودها احد .

وبعد ربع الساعة كان "ارسين لوبين" يدق الجرس المثبت على باب حانة "شارلي" وبعد لحظات فتحت كوة صغيرة في الباب وظهر من خلالها وجه دميم تعلوه عينان تشعان بالخبث والدهاء .

ولكن "لوبين" كان اخبث وادهى من حملت الأرض . ولذلك قال في جراة وثبات:

- إنني ادعى "سيمون" . وقد أرسلتني "فاي" إدواردس" .

فهز حارس الباب راسه وقال :

- إن "فاي" لم تحضر بعد . فهل تحب أن تنتظرها ؟
- نعم .. ويمكنني أن أشرب قدحا من الشراب ريثما تأتي .
ولم يكن في هيئته مايثير الريب .. ولم يكن في صوته مايحرك الشكوك فلم تمض لحظات حتى فتح الباب ليستقبل عدو القتلة والمجرمين .
وعلق "لوبين" قبعته على الشماعة وعبر الردهة الصغيرة إلى القاعة التي يشغل البار الجزء الأكبر منها .
وكانت الموائد منتثرة في أرجاء المكان وقد جلس إليها جماعة من النساء والرجال كتب على وجوههم أنهم من رجال العصابات السفاحين الذين يريقون الدماء بنفس البساطة التي يريقون بها قدحا مملوءا بالماء !
وشمل "لوبين" الحاضرين بنظرة خاطفة ثم استوى على مقعده أمام البار وأمر الساقي بأن يعد له كاسا .
وافرغ "لوبين" كاسه في جوفه دفعة واحدة ثم قال يخاطب الساقي :
- مااسمك يابني ؟
فنظر إليه الرجل بعينين مغمضتين وقال :
- إني أدعى "توني" ..
- وأنا أدعى "سيمون" . من مدينة "ديترويت" .
فأحنى الرجل رأسه وتفرس في "لوبين" وقال مرددا :
- من "ديترويت" ؟
- نعم .. وهم يلقبونني بالأخضر .. نسبة إلى المائدة الخضراء لأني أقضي ليلي ونهاري في لعب القمار .. وقد سمعت أن في هذه المدينة لاعبين يعرفون كيف يتذوقون اللعبات الكبيرة .
- ماذا تريد ؟
فتفرس "لوبين" في الساقي بنفس النظرات الثابتة التي كان هذا يتفرس بها فيه . ثم قال في كلمات بطيئة :
- أريد أن ألعب . أريد أن ألعب مع "موري والينو" .
فقال الساقي :
- يجب أن أستشير الرئيس أولا .

ثم دار على عقبيه وتوارى خلف ستار مسدل على باب يقع في مؤخرة الجدار !

وبعد بضع دقائق ظهر الساقي ثانية وقال يخاطبه :

- "موري" و"الينو" لا يلعب الليلة .. "بابيلوس" هو الذي يلعب فهل تريد أن تشترك ؟

ولم يكن "لوبين" يتوقع أن تمهد له الأقدار أن يتصل بـ" والينو" في أول مرة . ولذلك رأى أن يقنع بمقابلة "بابيلوس" فإنها خطوة لا باس بها على أية حال . وفضلا عن هذا فقد غلب على ظنه أن "والينو" كان منهمكا في تلك الليلة في مسالة الطفلة فيولا انسلهيم .

ولكنه هز كتفيه وقال في غير اكتراث :

- لقد جئت لألعب بالألوف لا بالسنتات .. من هو "بابيلوس" هذا ؟ فإنني لم اسمع عنه .

فابتسم " توني" وقال :

- إن "بابيلوس" لن يضن عليك باللعبات الكبيرة .. وفي وسعك أن تقابل "والينو" فيما بعد .. فهل تريد أن تذهب إلى النادي ؟

فهز "لوبين" كتفيه في غير اكتراث وقال :

- فليكن .. فليست لدي تسلية أخرى .

وهمس " توني" يقول :

- اذهب إلى عمارة "جريلاند" في الشارع الخلفي واصعد إلى الشقة رقم ١٧١٣ وأنبئهم بأن "شارلي كوين" هو الذي أرسلك .

- شكرا لك .

وخرج "لوبين" من الحانة وذهب مسرعا إلى عمارة "جريلاند" وركب المصعد حتى باب الشقة رقم ١٧١٣ .

ولما دق الجرس تحرك الباب مسافة لاتزيد على ثلاث بوصات ورأى "لوبين" عينين تنظران إليه وتفحصانه من فرعه إلى أخمص قدميه فقال:

- إن اسمي "سيمون" . و"شارلي كوين" هو الذي أرسلني . فقال صاحب العينين الفاحصتين :

- "سيمون" .. ؟ من "دانفر" ؟

- كلا .. من "ديترويت" .. وهم يلقبونني بالأخضر نسبة إلى المائدة الخضراء.

فاحنى الحارس راسه وفتح الباب وهو يقول :

- ادخل يا اخضر .. إذا كنت تبغي اللعبات الكبيرة فستجد هنا اللعبات الكبيرة !

وكان "لوبين" ينشد اللعبات الكبيرة .. ولكنه كان ينشدها بمعنى آخر لم يخطر لحارس الباب على بال !

* * *

اقتاد الحارس "ارسين لوبين" إلى قاعة كبيرة تتوسطها مائدة خضراء انتظم حولها اللاعبون وهم منهمكون في اللعب لا يكادون يلقون بالا إلى من يخرج او يدخل

وقال الحارس معلنا دخول الزائر :

- "سيمون" الملقب بالأخضر من مدينة "ديترويت" .. إنه يبحث عن لعبة كبيرة. ونظر اللاعبون إلى زميلهم الجديد واحنوا رؤوسهم يحيونه في حركات مقتضبة ثم رجعوا سريعا إلى ما كانوا فيه .

وسحب "لوبين" مقعدا وجلس في مواجهة اللاعب الذي يتولى توزيع الورق .

واشعل سيجارته واخذ يتفحص وجوه الحاضرين . وكانت وجوها شريرة تدل على ان اصحابها لا يعيشون إلا غارقين في الدماء . إنهم ملوك وسادة ولكن في العالم السفلي .

وتكلم الرجل البدين وهو ينفث من فمه حلقة طويلة من دخان سيجاره الضخم - إذن فانت تبحث عن اللعبة الكبيرة .. ستجد بغيتك هنا .

وابتسم "لوبين" وقال وهو ينظر إلى الأوراق المالية المكدسة على المائدة :

- يظهر يا اخ انك لا تعرف ماهي اللعبة الكبيرة .

وقطب الرجل جبينه ثم قال :

- انا لا اعرف اللعبة الكبيرة ! إذن ماهو المبلغ الذي تبغيه يامستر "سيمون"؟ واي لون تختار ؟

فابتسم "لوبين" وقال :

- المبلغ عشرون الف دولار .. واللون هو الأزرق

ولم يكد "لوبين" ينطق بهذه الكلمات حتى ساد السكون الغرفة وتعلقت به الأنظار . فعلى الرغم من ان هؤلاء اللاعبين لا يقيمون للمال وزنا إلا انهم لا يجهلون ان عشرين الف دولار مبلغ لا يستهان به .

ورفع الرجل البدين - الذي لم يكن إلا "بابيلوس" - حاجبيه وقال :

- هل لك في أن ترينا مامعك .. ام ان المبلغ مودع في بنك انجلترا ؟

فقال "لوبين" :

- بل إنه في جيبي .

ومد يده في جيبه واخرج رزمة من الأوراق المالية التي سرقها من القاضي "ناتير" فالقاها على المائدة وهو يقول في لهجة تنطوي على التحدي :

- هاك هو المبلغ ! .

ولكن رزمة الأوراق المالية لم تكن هي الشيء الوحيد الذي استقر على المائدة الخضراء . وإنما استقرت إلى جانبها ورقة صغيرة كانت مشتبكة فيها .

أما هذه الورقة فلم تكن إلا الرقعة التي كتبها "بابيلوس" إلى القاضي "ناتير" وارفقها بالعشرين الف دولار . !

ولم يخرج "لوبين" هذه الرقعة عفوا . وإنما تعمد ان يضعها تحت نظر "بابيلوس" .. ولكنه تظاهر بالخوف حين رآها على المائدة وهم بان يلتقطها ليردها إلى جيبه .

ولكن "بابيلوس" كان قد استطاع ان يقرا الكلمات المكتوبة عليها . فصاح قائلا في لهجة تهديدية :

- انتظر لحظة !

واختطف الرقعة قبل ان تصل يد "لوبين" إليها .

وتطاير الشرر من عيني "بابيلوس" وصاح قائلا :

- من اين جئت بهذا المال ؟

فنظر إليه "لوبين" في غير اكتراث وقال :

- ولكنها ليست أوراقا زائفة . إنك انت الذي دفعتها بنفسك ... فقال

"بابيلوس" في برود :

- إني اعرف ذلك . ولكني لم ادفعها إليك .

وأوما براسه إيماءة خاصة لم يغب معناها عن "لوبين" .. فلم تمض لحظات حتى الفى نفسه اسيرا بين رجلين من سفاحي العصابة يصوبان إليه المسدسات ويمسكان بذراعيه حتى يمنعاه من المقاومة .

وامر "بابيلوس" اعوانه بان ينهبوا بالأسير إلى الغرفة المجاورة ثم لحق بهم واوصد الباب وقال له في صوت غاضب هائج :

- من اين اتيت بهذه الأوراق ؟

فصاح "لوبين" في صوت لا يقل غضبا وهياجا :

- هذا ليس من شانك .

ورفع "بابيلوس" يده في حركة سريعة ولطم "لوبين" على وجهه .. !

ولقد هم "لوبين" بان ينقض عليه ولكنه كظم مابنفسه لأن الاشتباك مع "بابيلوس" كان كفيلا بان يفسد الخطة التي دبرها .. لقد تعمد ان يجعلهم يقبضون عليه لغرض في نفسه . فمن الحماقة ان تثيره هذه اللطمة إلى درجة تجعله يهدم بيديه مابناه .

واخرج اليوناني مسدسين من جيبه وصوبهما إلى "لوبين" وهو يقول :

- قلت لك من اين اتيت بهذا المال .. ؟ تكلم وإلا فانت الجاني على نفسك .

فقال "لوبين" بصوته الهادئ :

- لقد عثرت عليه في جيب بنطلوني .

فصاح احد الحراس قائلا :

- تكلم .. هل انت مجنون .. ؟

- ولكني تكلمت .. الم اقل لكم إني عثرت عليه في جيب بنطلوني ؟

ورفع "بابيلوس" يده وهم بان يلطم "لوبين" للمرة الثانية ولكنه مالبث ان ردها وهو يقول :

- إني لست في حاجة إلى جوابك .. ساعرف المكان الذي جئت منه بهذه الأوراق .

ومشى إلى التليفون الموضوع على طاولة في ركن الغرفة وادار رقما

معينا ولما تم الاتصال قال :

- أهذا انت ياحضرة القاضي .. ؟ إنني "بابيلوس" .. أصغ إلي .. لدي هنا فرد معه عشرون الف دولار ورقعة صغيرة من الورق ..

واخذ وجه "بابيلوس" يتصلب ونظراته تشتد وهو يصغي إلى مايفضي به إليه القاضي "ناتير" .

واخيرا رد السماعة إلى مكانها وتحول إلى "لوبين" وعيناه ترميان بالشرر

ثم قال في لهجة ساخرة :

- إذن فاسمك مستر "سيمون" !

فاحنى "لوبين" راسه وقال :

- هذا هو الاسم الذي تدللني به امي . اما خارج البيت فينادونني باسم "لوبين" . "ارسين لوبين" !

فهز "بابيلوس" راسه وقال :

- إذن فانت "ارسين لوبين" ! انت الفار الحقير الذي قتل "اربول" .. ! إذن فانت البطل العظيم الذي سينظف "نيويورك" .. !

وضحك اليوناني ضحكة خشنة رهيبة كانها صادرة من اعماق الجحيم وقال مسترسلا :

- مرحبا بك "يالوبين" .. !

ثم دار على عقبيه واصدر إلى الحارسين تعليماته .

ولم يسمع "لوبين" كل ماقاله لهما .. ولكن الكلمات القليلة التي وصلت إلى اذنيه جعلته يبتسم اغتباطا إذ ادرك ان خطته قد نجحت .. لقد تركهم يقبضون عليه لانه يريد ان يصل إلى "موري والينو" .. وهاهو ذا "بابيلوس" يامر الحارسين بان ينهبا به إلى "والينو" .. وكان "لوبين" يعتقد انه سيجد عند "والينو" الطفلة المخطوفة : "فيولا انسلهيم" .. !

وصاح به أحد الحارسين قائلا :

- هيا بنا .

فقال "لوبين" محتجا :

- ولكن العشرين الف دولار .. ؟ الا تعيدونها إلي .. ؟

فضحك الحارس الثاني وقال :

- واية ضرورة لها .. ؟ في المكان الذي ستذهب إليه يكفنون الموتى ويدفنونهم دون ان يتقاضوا اجرا .. !

وفتح "بابيلوس" الباب ووقف عنده ينتظر خروج "ارسين لوبين" .

ولما مر به "لوبين" ارتمى عليه فجاة وعانقه وهو يقول :

- وداعا ياحبيبي "بابيلوس" .. ! سيفرق هؤلاء الأشقياء بيننا ولكني سالفظ النفس الأخير وانا أردد اسمك المحبوب .. !

ودفعه "بابيلوس" عن صدره وهو يقول :

- ابتعد عني .. !

وابتعد "لوبين" بين حارسيه .

ولكنه كان قد استطاع قبل ان يبتعد ان ينشل من جيب "بابيلوس" رزمة الاوراق المالية وهو يعانقه ويدسها في جيبه دون ان يشعر به احد !

* * *

ركب "لوبين" السيارة بين حارسيه دون أن تجري له في بال فكرة المقاومة . ليس خوفا من المسدس المصوب إليه وإنما لانه كان ينشد هذه الرحلة ويسعى إليها .. كان يبغي ان يكتشف مقر العصابة ليصل إلى الطفلة المخطوفة "فيولا انسلهيم" .. وكان موقنا الآن انه في الطريق إلى هذا المقر .

واخذت السيارة تنهب الأرض مجتازة شوارع "نيويورك" حتى خرجت إلى الضواحي ولم تقف إلا عند بيت يقوم في مكان منعزل يكاد يكون بعيدا عن العمران .

وكانت عند الباب سيارة أخرى .

وامر "لوبين" بالنزول من سيارته وارتقى بين حارسيه درجا صغيرا ودق احد الرجلين الجرس فانفتحت في الباب كوة ظهر وراءها وجه دميم . ولم تلبث ان تحركت المزاليج الحديدية وانفتح الباب .

وكان الطابق الارضي مؤلفا من ثلاث غرف جعلت الكبرى منها مشربا وضعت فيها الموائد واقيمت المقاصير كما هو الشان في الدور التي تتخذها العصابات مقرا لها .

وقال أحد الحارسين يسال الرجل الذي فتح الباب :

- هل هم في الطابق الثاني .. ؟

- نعم .. وهل هو هذا الرجل .. ؟

وأرسل الحارسان من منخريهما صوتا يشبه فحيح الأفعي .

ولكن البواب فهم من هذا الصوت انهما يؤمنان "على ان هذا هو الرجل" .

وصعد الرجال الثلاثة إلى الطابق الثاني فالفى "لوبين" نفسه في ممشى طويل اقتيد إلى الباب الذي يقع في صدره وامر بالدخول .

وكانت القاعة كبيرة المساحة تتوسطها مائدة عليها بقايا الطعام وزجاجات الشراب الفارغة .

وكان "موري والينو" جالسا على مقعده عند هذه المائدة .

وعرفه "لوبين" من الأوصاف التي ذكرها المفتش "فرساك" . ولكن نظرته ما لبثت أن تحولت واستقرت على الفتاة الجالسة عند المائدة .

لم يكن لديه من الأسباب ما يحمله على الاعتقاد بان هذه الفتاة هي "فاي" التي خاطبت القاضي "ناتير" تليفونيا .. "فاي إدواردس" التي هم المفتش "فرساك" بان يحدثه عنها حين قطع عليه الراديو حديثه ... ولكن على الرغم من هذا كان موقنا من انها "فاي" ... ففي مقر العصابات لا يظهر من الفتيات إلا عدد محدود ! ولو انه سمع صوتها لقطع الشك باليقين . ولكنها كانت صامتة لا تتكلم .

كانت "فاي" هيفاء القد شقراء الشعر لها ابتسامة جذابة فيها ما يغري ويدير الرؤوس .. وكانت لا تزال في ربيع الشباب لا تعدو الثالثة والعشرين وما ان راى "لوبين" وجهها حتى سرت في بدنه نفس النشوة التي شملته حين سمع صوتها في مكتب القاضي "ناتير" .

وقال "ارسين لوبين" : طاب مساؤكم

ولكنه كان يقصد بهذه التحية "فاي إدوارس" اكثر مما كان يقصد "موري والينو" .

ولم يجب أحد على تحيته . ولم يكن "لوبين" ينتظر شيئا من هذا القبيل وكان "والينو" جالسا تحت المصباح الوحيد الموجود في الغرفة وهو يصقل أظفاره ويجري عليها الفرشاة .

وقال "والينو" : لقد كنت متلهفا إلى رؤيتك .

فابتسم "لوبين" وقال : وما كنت أنا الأقل منك تلهفا ... فكلانا الآن سعيد راض .. لقد قيل لي إنك غانية "نيويورك" الحسناء . فارجو أن ترشديني إلى الحلاق الذي يجعد لك شعرك .. ولكنني انصحك بان تبحث عن معهد اخر لتجميل الوجوه فإن وجهك في حاجة إلى عملية كبيرة .

وعلى الرغم من هذا الحديث الخفيف الدعابي كان جو الغرفة خانقا مكهربا ينذر بهبوب عاصفة عاتية .

وصاح "والينو" قائلا : ماذا كنت تقول ؟

- كنت أسالك عن بعض النصائح الخاصة بالتواليت . إن أهداب عينيك تذكرني باهداب جريتا جاربو !

وأجرى "والينو" يده على شعره اللامع وقال : اقترب مني .

واقترب منه "لوبين" ولكن عن غير إرادته لأن الحارسين هما اللذان دفعاه إلى ناحيته .

ورماه "والينو" بنظرة شنزراء ثم قال : الم تسمع بالصندوق الساخن؟

وعلى الرغم منه شعر "لوبين" برعدة خفيفة تسري في بدنه فقد سمع من قبل بالصندوق الساخن الذي يعد أحدث اختراع اهتدت إليه العصابات للانتقام من خصومها .. ويقال إن ال كابوني نفسه هو الذي اخترعه وجربه للمرة الأولى في أحد رجال البوليس السري الذين وقعوا في قبضته . فمات وهو يتعذب عذابا لم يخطر على بال إنسان .

ولكن هذه الرعدة لم تكد تسري في أوصاله حتى تبددت وظلت عيناه كعهدهما ترقبان "والينو" بنظرات أحد من السيف .

- نعم لقد سمعت بالصندوق الساخن .. فهل اعددته لتجربه في "فيولا انسلهيم" . ؟

واشتد الجو الخانق الذي يسود الغرفة وانهمك "والينو" بضع لحظات في صقل أظفاره بفرشة "المانيكور" . ثم قال اخيرا :

- إذن فانت تعلم بهذا أيضا . !

فاحنى "لوبين" راسه فقد كانت هذه هي الكلمة التي يبتغيها ليتاكد من أن عصابة "والينو" هي التي اختطفت الطفلة .. وما من شك في

انها موجودة الآن في مقر العصابة .. فالخطوة التالية المطلوبة منه هي أن يسعى إلى إنقاذها .

وقال "لوبين" :

- إني أعرف طبعا .. وهذا هو ما جعلني القي بنفسي في ايديكم حتى إذا اتيتم بي إلى المكان امكنني ان انقذ الطفلة

فصاح أحد الحارسين قائلا : إنه مجنون !

ولم يغضب "لوبين" لهذه الإهانة لانه كان يعرف عن نفسه انه مجنون إذا كان الجنون هو إنقاذ الأطفال المخطوفين مهما استهدف الإنسان للخطر وحدجه "والينو" بنظرة يتطاير منها الشرر وقال :

- ما الغرض من مجيئك ؟

فكان جواب "لوبين" : لقد جئت لكي اقتلك !

وازداد الجو تكهربا .. وازدرد "والينو" ريقه .

كان يعرف أن "لوبين" اسيره وانه مجرد من السلاح .. ولكن الرعدة مع هذا سرت في بدنه وهو يتلقي هذه النظرات الهازئة التي يرميه بها "لوبين" .

واسترسل "لوبين" قائلا :

- إنك تعرف من انا ..إنني "ارسين لوبين" ... و" لأرسين لوبين" طريقته الخاصة في تنفيذ العدالة .. قتلت "جاك اربول" بعد ظهر اليوم وساقتلك الليلة .. إنني اكبر من القانون ... وعدالتي لن تجد قضاة يعرقلون سيرها ... !

وابرقت عينا "والينو" وقال متهكما : يظهر انك مغرور بنفسك !

فاحنى "لوبين" راسه وقال : نعم .. إني مغرور بنفسي .

وقبل أن يفرغ من هذه الجملة دوت في الغرفة ثلاث صرخات :

كانت الصرخة الأولى من احد الحارسين لأن "لوبين" كان وهو يتحدث قد استطاع أن يستل المدية المشدودة إلى ذراعه فغرزها في يد الحارس الذي كان ممسكا به ليمنعه من الحركة فصرخ الرجل وتخلى عن "لوبين" !

أما الصرخة الثانية فكانت من الحارس الثاني على أثر اللكمة التي سددها "لوبين" إلى فكه !

وأما الصرخة الثالثة فكانت من "والينو" نفسه لأن "لوبين" مزق بطنه بمديته !

وقد وقعت هذه الحوادث الثلاث في سرعة البرق حتى لكأنها حادث واحد .

وقبل أن ينتبه رجال العصابة إلى ماجرى كان "لوبين" قد سدد الضربة الرابعة إلى المصباح الوحيد الذي ينير الغرفة فحطمه وساد المكان ظلام دامس !

ووثب "لوبين" إلى النافذة .

وقبل أن يتخطاها إلى الخارج شعر بيد تلمس ذراعه .. فرفع المدية ليضرب الضربة الخامسة . ! ولكنه رد ذراعه في اللحظة المناسبة .

لم تحاول تلك اليد أن تقبض على ذراعه .. بل كان ملمسها خفيفا رقيقا .. كما سطع انفه عبير عطر شذي .. وفي نفس الوقت شعر بجسم بارد صلب يحتك بيده .. فعرف أن هذا الجسم مسدس فتقبضت عليه أصابعه .

وفي اللحظة التالية ابتعدت اليد التي لمست ذراعه وتبدد العطر الذي شمه .

الفصل الرابع

عندما كان "لوبين" اسيرا بين حارسيه ارسل بصره إلى الخارج فرأى ان سطح الطابق الأول من المنزل قريب من النافذة . فإذا ما تخطاها امكنه في سهولة ان يستقر فوق هذا السطح .

وكان هذا هو مافعله في تلك اللحظة .. تخطى حافة النافذة ووضع قدميه فوق السطح .. كان الموقف رهيبا حافلا بالمخاطر لأن السطح منحدر في زاوية حادة لا تعين على استقرار القدم . فرأى "لوبين" أن يرتمي بجسده على السطح ليخفف من تعرضه للانزلاق .. ثم زحف على وجهه حتى بلغ الحافة السفلى للسطح .

وهناك سمع أصواتا صادرة من الحديقة يقول أصحابها :

- لابد انه هرب من هنا !

- إني اخشى أن يركب السيارة ويهرب بها .

- ولكن المفتاح معي .

ثم سكنت الأصوات .

ولبث "لوبين" مكانه وهو يفكر في الخطة التي ينبغي له أن يتبعها .. لم يكن يريد أن يهرب فحسب وإنما كان يريد ان ينقذ الطفلة "فيولا انسلهيم"

وكان يفكرايضا في "فاي إدواردس" .. لماذا دفعت إلى يده هذا المسدس ؟ ولماذا حاولت أن تعينه وهو في شدته ؟ وماالسبب الذي يدعوها إلى الاندماج في هذه العصابة الدموية التي لا ترتوي إلا بالدماء . إن على وجهها سيماء الوداعة وفي عينيها جانبية لطيفة .. فاي دافع يحملها على أن تتصل برجال من هذا الطراز ادنى إلى الوحوش منهم إلى البشر !

عندما اغمد مديته في قلب "والينو" اختلس إلى الفتاة نظرة خاطفة فلم ير في عينيها رعبا او خوفا .. بل رأى وميضا غريبا لم يفهم له معنى .

ولم يكن في نية "لوبين" طبعا ان يستمر في وضعه هذا طول الليل .. وكان الوثوب إلى الأرض مستحيلا لبعد المسافة . فما كان منه إلا أن

تعلق بحافة السطح وتدلى بجسمه في الهواء فاستطاع بذلك أن يرى أن إحدى نوافذ الطابق الأرضي مواجهة له .

وكانت الغرفة شبه مظلمة ولكن الضوء كان يشع إليها من خلال الشراعة التي باعلى الباب . فاستطاع أن يرى بعينيه النفاذتين سريرا قائما في ركن الغرفة . وكان سريرا صغيرا لا يصلح إلا للأطفال .

فعرف على الفور أن "فيولا انسلهيم" نائمة في هذا السرير .

وطوح "لوبين" بجسمه في الهواء عدة مرات وهو ممسك بحافة السطح وفي المرة الأخيرة دفع بقدميه زجاج النافذة فانفتحت على مصراعيها وشق سكون الليل صوت الزجاج وهو يتهشم !

وفي اللحظة التالية كان "لوبين" داخل الغرفة !

وايقظت الجلبة الطفلة من نومها فانتصبت جالسة في سريرها وهي تحملق في الظلام فانحنى عليها "لوبين" وهو يقول في صوت رقيق :

– لقد جئت ياصغيرتي لأعيدك إلى بيتك فهل تريدين أن تعودي .. ؟

فاحنت الطفلة راسها وارتسمت على شفتيها ابتسامة ظريفة فحملها "لوبين" بيده اليسرى وامسك بيده اليمنى المسدس الذي قدمته إليه "فاي إدواردس" وقال للطفلة :

– تعلقي بي يا "فيولا" .. سنطلق الآن بعض الصواريخ فهل يخيفك الدوي ؟

فهزت الصغيرة راسها وقالت : كلا إني احب الصواريخ .

– وسيكون لك ما تحبين .

وكان الباب موصدا فسدد "لوبين" مسدسه إلى القفل واطلق رصاصة حطمته ولكنه حين فتح الباب راى على عتبته جثة رجل غارق في الدماء !

وذلك أن الرجل المكلف بحراسة الطفلة وضع عينه على ثقب الباب حين سمع صوت الزجاج يتهشم لكي يرى مايجري داخل الغرفة . وفي هذه اللحظة أطلق "لوبين" مسدسه على القفل .

وابتسم "لوبين" وقال يخاطب الطفلة :

– هذا هو الصاروخ الأول .. فهل انت خائفة ؟

- كلا .. أرجوك أن تطلق صواريخ أخرى .

واجتاز "لوبين" الممشى مسرعا وهم بان ينزل الدرج في الوقت الذي بدأ فيه رجال العصابة يصعدون ولكنه كان اخف منهم حركة فوثب فوق رؤوسهم فإذا هو في الردهة السفلى قبل ان ينتبهوا إلى ما حدث.

ولكنهم انتبهوا حين عاجلهم "لوبين" من الخلف برصاصة من مسدسه أردت احدهم قتيلا . اما الرصاصة الثانية فاطلقها على المصباح الذي يضيء الردهة فانتشر الظلام لولا ذلك الشعاع الضئيل الذي يسري إلى المكان من قاعة البار.

وتوارى "لوبين" خلف سياج السلم في الوقت الذي أخذ رصاص المسدسات ينهال حوله كالسيل الجارف .

وتقريرا للواقع يجب ان نقول إن رجال العصابات لا يجيدون إصابة الهدف . وليست بهم من حاجة على اية حال إلى ان يتعلموا الإصابة إذ إنهم درجوا على استعمال مدافعهم الرشاشة . فمإذا كان لهم خصم لم يطلقوا عليه رصاصة من مسدس وإنما يطلقون عليه آلافا من الرصاصات تخرج من فوهة المدفع الرشاش كانها نيران مندلعة من فوهة بركان ثائر . فتنتشر في دائرة قطرها لا يقل عن متر أو مترين . ومن المؤكد أن تصيب رصاصة من هذه الألوف عدوهم المنشود .

ولهذا كان "لوبين" مطمئنا إلى أن رصاصات المسدسات التي تطلق عليه ستطيش عن الهدف .

ولكن مامن رصاصة اطلقها "لوبين" إلا استقرت في جسد أحد رجال العصابة .

وبعد بضع لحظات .. وبعملية حسابية سريعة عرف "لوبين" انه لم يبق من رجال العصابة إلا اربعة ورجح لديه ان اثنين منهم خارج المنزل يتولى احدهما حراسة الباب ويتولى الثاني حراسة السيارتين.

وهمس "لوبين" في اذن "فيولا" قائلا : عليك بالباب وانطلقي هاربة إلى الخارج .

وجرت الطفلة إلى الباب وخرجت منه فانبعث حارس الباب خلفها فاطلق عليه "لوبين" رصاصة اردته قتيلا .

وانطلقت الطفلة تجري في الحديقة "ولوبين" لا يزال داخل البيت يتابعها بنظراته..

ورأى "لوبين" شبحا آخر يخرج من الظلام ويجري وراء الطفلة فعاجله برصاصة من مسدسه عرف انها اصابت الهدف حين سمع صرخة متوجعة وحين راى شبح الرجل يتوارى بغتة كانما انشقت الأرض وابتلعته . !

وقفز"لوبين" قفزة كبيرة جعلته خارج المنزل . فاسرع وراء الطفلة وحملها ووثب إلى إحدى السيارتين .

كان " لوبين" قد عرف من الحديث الذي جرى بين بعض رجال العصابة وهو مختبئ فوق سطح البيت ان مفتاح السيارة التي جاء فيها موجود مع احد الرجلين .. ولذلك اختار ان يركب السيارة الأخرى المقفلة التي راها واقفة بالباب عند قدومه وهو يقول في نفسه :

- ليت شعري هل أجد مفتاحها فيها .. ؟

وعرف ان الاقدار لا تزال راضية عنه حين وجد المفتاح .

وقبل أن ينطلق بالسيارة سمع خلفه دويا هائلا .. فلما التفت راى احد رجال العصابة واقفا على عتبة البيت وهو يطلق النار على السيارة من مدفع رشاش .

ولم يخف "لوبين" ولم يرتعد لأنه كان يعلم ان هذه هي سيارة "موري والينو". وقد ذكر له المفتش "فرساك" أن "والينو" لا يركب إلا سيارة مصفحة .

وانهالت الطلقات النارية على السيارة دون ان تؤثر فيها .

ولم ينس "لوبين" وهو منطلق بها أن يهتف باعلى صوته قائلا :

- وداعا أيها الأصدقاء .. سارسل باقات من الورد لتوضع على قبور الموتى..!

* * *

أوقف "لوبين" السيارة في ميدان "ساتون" وايقظ الطفلة التي كانت راقدة إلى جواره وقال لها : اتعرفين بيتك .. ؟

فاومات الطفلة إلى بناء قريب وقالت : هذا هو "بيتي"

- إذن عودي إلى ابيك وقولي له إن "ارسين لوبين" هو الذي اتى بك ..

"ارسين لوبين" . فهل انت فاهمة ؟

فاحنت الطفلة راسها وقالت مرددة : نعم .. "ارسين لوبين" هو الذي جاءبي .

ثم نزلت من السيارة وانطلقت إلى بيتها و"لوبين" يشيعها بنظراته .

وبعد ربع الساعة كان في الطابق الأعلى من فندق "استوريا" .

وكان "فالكروس" راقدا في فراشه يرقب عودته بفروغ صبر فقال له "لوبين" : لقد اعدت "فيولا انسلهيم" إلى بيتها .

فساله الشيخ الهرم قائلا : وهل قابلت "والينو" .

– نعم قابلته . وقد ارسلته في مهمة صغيرة إلى الجحيم ..!

واخرج "لوبين" من احد الادراج ورقة صغيرة كان مكتوبا عليها ستة اسماء وكان الأول منها وهو اسم "اربول" مشطوبا فتناول قلما وشطب الاسمين التاليين ثم كتب في نهاية القائمة اسما جديدا هو "الرفيق الكبير" . !

وهم بان يكتب اسما ثامنا ولكنه تردد هنيهة مالبث قلمه على اثرها ان كتب هذا الاسم : "فاي إدواردس" ولكنه وضع هذا الاسم بين قوسين.. !

وقال "فالكروس" يساله : ولكن من تكون "فاي ادواردس" ..؟

– هذا ما انشد معرفته .. ولكن حسبي ان اقول إن مسدسها هون علي امر النضال كثيرًا وجعل كسب المعركة اسهل مما كنت اتوقع وغدًا لن يكون للصحف من حديث إلا عن هذا الحادث .

وقد اصاب "لوبين" في نبوءته لأن الصحف خرجت على الناس في صباح اليوم التالي واسم "لوبين" يشغل صدرها بالخط العريض حتى لقد احمر وجهه حياء وتواضعا وهو يرى أمام عينيه مثل هذه العناوين : " لوبين "ينقذ" "فيولا" ..!

– مصرع "والينو" ..! "لوبين" يقتل اثنين ويجرح ثلاثة . عملية تنظيف واسعة النطاق .. "لوبين" يعلن الحرب على العصابات .. "لوبين" يقاتل خاطفي الأطفال .. الخ ."

كما كانت الصحف ملأى بصور متعددة "لفيولا انسلهيم" تتوسطها صورة كبيرة "لأرسين لوبين" نفسه سره منها انها تمثله في وضع

جذاب .

ولما فرغ "لوبين" من طعامه دنا من النافذة وارسل بصره إلى المدينة . كانت الشمس مشرقة والسماء صافية والجو منعشا ظريفا يغري المرء بان يقضي نهاره في الحدائق والحقول .

ولكن "لوبين" لم يفكر في جمال الطبيعة وإنما كان يفكر في الخطوة التالية التي ينبغي له ان يتخذها .

وتناول البطاقة المكتوب عليها اسماء افراد العصابة والقى عليها نظرة عجلى ثم تنهد وقال في نفسه : ليت شعري من التالي ؟

ولم يكن "لوبين" هو وحده الذي يردد هذا السؤال بل كان يردده معه افراد العصابة انفسهم وهم مجتمعون في إحدى الغرف الداخلية في حانة "شارلي"

كانوا جالسين إلى إحدى الموائد يشربون ويدخنون السجائر ويتبادلون الراي في هذا الخطر الداهم الذي هبط عليهم من الجحيم .

وكان "هيمي فيلدر" لا يفتا يقول : إنه مجنون ..!

وكان في ذلك اليوم فخورا بانه احد الرجال القلائل الذين اشتبكوا في المعركة مع "ارسين لوبين" وظل حيا ليروي قصته ..!

ولكن مما يؤسف له انه كان عيي اللسان قليل الفصاحة لا يجد من حسن البيان مايعينه على إجادة الوصف .

وقال "هيمي فيلدر" يصف ما حدث : كلما وجهنا إليه سؤالا لم نظفر بالجواب.. من اين لك هذا المال ؟ من اين جئت بهذه الأوراق ..؟ وهو صامت لا يجيب .. فما كان من "بابيلوس" إلا ان لطمه على وجهه .. واتصل "بابيلوس" بالقاضي "ناتير" فعرف منه ان المال سرق منه وأن السارق هو "ارسين لوبين".. وامرنا "بابيلوس" بان نذهب به إلى "موري والينو" الذي كان في المقر العام مع"فيولا" ..إن "لوبين" مجنون .. نعم .. إنه مجنون .. لقد جعل يتهكم على والينو" ويهزا به .. وانتم تعلمون ان "والينو" لا يطيق ان يهزا به احد .. ولكن "لوبين" استمر في تهكمه لانه مجنون .. وفجاة استل مديته وطعن بها ذراعي .. ثم اغمدها في بطن "والينو" وبعد ذلك ضرب المصباح بمقبضها فاطفاه .. وفي الوقت الذي كنا نبحث عنه كان قد دخل إلى غرفة الطفلة وانقذها .. وكان معه

مسدس لا ادري من اين جاء به فاخذ يطلقه علينا ثم قفز إلى سيارة "والينو" المصفحة وهرب بها .. إنه مجنون .. نعم إنه مجنون .

وافرغ كاسه في جوفه دفعة واحدة وعاد يقول :

- نعم .. إنه مجنون ..!

فقد كان لضالة حظه من أساليب البيان يعتقد ان ترديده هذه الجملة يغني عن الإيضاح والإسهاب .

وكان يتصدر المائدة رجل بدين مترهل الجسم يدعى "داتش كيلمان" ينزل من هذه الجماعة منزلة الزعيم المطاع . وكان صامتا يصغي إلى هيمي فيلدر" فلما فرغ هذا من حديثه تمتم "كيلمان" قائلا :

- هذا عار كبير.. وكان "والينو" ولداً طيبا..!

وساد الحاضرين سكون قصير احتراما لذكرى الراحل الكريم الذي كان ولداً طيبا ..!

وقال "كيلمان" متسائلا : ماالذي يجنبه "لوبين" من هذا التدخل ؟

فقال "بابيلوس" مجيبا : لقد جنى حتى الآن عشرين الف دولار من القاضي "ناتير" .. ومن المحتمل ان "انسلهيم" اجزل له العطاء .

وارسل" كيلمان" بصره إلى المتكلم فلم يملك "بابيلوس" ان ارتعد تحت تلك النظرات النفاذة الشنراء فقد كان يعلم ان "والينو" لم يمت إلا لانه - اى "بابيلوس" - ارسل إليه " لوبين " تلك المدية .. فلو انه احسن تفتيشه لما وقعت تلك النكبة . ومامن شك في انه يعد مسؤولا في نظر الرفقاء .

واسترسل "كيلمان" قائلا : ولكنه كان يتحدث عن العدالة وعن القضاة الذين يعرقلون سير العدالة .

فتمتم "هيمي فيلدر" قائلا : إنه مجنون ..إنه مجنون ..!

فهز "كيلمان" كتفيه في غير اكتراث ثم ضرب المائدة بقبضة يده الضخمة وقال :

- إنه ليس مجنونا .. بل انتم المجانين .. نعم انتم المجانين لانكم تتركون رجلا مثله يصرع خمسة منكم وانتم جلوس مكتوفو الايدي لاتحركون ساكنا .. لقد شرع ينالكم واحدا بعد الآخر .. يطلق النار ذات اليمين وذات الشمال .. ومامن رصاصة خرجت من مسدسه إلا اصابت

من احدكم مقتلا .

فقال "هيمي فيلدر" إنه ..

ولكن "كيلمان" لم يدعه يتم الجملة وإنما صاح قائلا :

– مجنون .. اليس هذا هو ماتريد ان تقوله ..؟ اقطع لسانك ولاتتكلم .. إننا نريد عملا لا كلاما .. قتل "اربول" .. وقتل "والينو" . وقتل "فولسانج" .. وانتم هنا تبحثون في هل هو مجنون او غير مجنون .. واولى بكم ان تقولوا لانفسكم : من الذي سيقتل بعد ذلك ..؟ من الذي عليه الدور..؟ من التالي ..؟

وقرع باب الغرفة في هذه اللحظة ودخل الرجل الذي يتولى حراسة الباب الخارجي وهو شاحب اللون بادي الخوف فقال له "كيلمان" في صوت جاف : ماذا تريد ..؟

فمد الحارس يده ببطاقة صغيرة وهو يقول ..؟

– لقد دق الجرس ففتحت الكوة ونظرت منها فلم اجد إلا يدأ تحمل هذه البطاقة فتناولتها ولما قرات ماهو مكتوب عليها فتحت الباب مسرعا فلم اجد احداً في الخارج . فرايت ان اتيك بالبطاقة لانها تهمك.

ولم يجب "كيلمان" بكلمة واحدة إذ كان بصره مسمرا على البطاقة وشفتاه ترتجفان ويده ترتعد ..!

لم يكن على البطاقة إلا ست كلمات .. ولكنها كانت كلمات رهيبة مخيفة

اما هذه الكلمات فهي :

"داتش كيلمان هو التالي .

" ارسين لوبين"

* * *

رفع "كيلمان" عينيه عن البطاقة ونظر إلى حارس الباب .. وكانت نظرته وحشية تنذر بالشر المستطير. !

ولكنه قال في صوت رقيق لطيف : تعال هنا يا"جو" .. إنك ولد طيب

ولعق "جو" شفتيه بلسانه وانفرجت شفتاه عن ابتسامة بلهاء لامعنى لها .

واخرج "كيلمان" سيجارا ضخما من جيبه اشعله وهو يقول :

- إنك انت الذي سمحت "للوبين" بالامس .. ؟

فازدرد المسكين ريقه وقال في كلمات متلعثمة :

- إن ماحدث يا"داتش" هو ان .. هو انه قرع الجرس وسالني عن "فاي" فانباته بانها لم تحضر بعد وان في وسعه ان ينتظرها إذا شاء

- ولهذا سمحت له بالدخول .. إليس كذلك ..؟

- المسالة يا"داتش" هي هذا .. لقد قال إنه سيشرب قدحامن شراب ريثما تحضر.. ولم يكن في هيئته مايثير الشك .. وفضلا عن هذا فقد ظننت ان "لوبين"..

فقاطعه "كيلمان" في لهجة ودية : ماذا كنت تظن ..؟

فتململ الحارس في وقفته وقال :

- كنت اظن انه فريسة التقطتها "فاي" .. إنك تعلم ان عملي هو حراسة الباب .. ادخل هذا واخرج ذاك دون ان ادري شيئا مما يجري ومع ذلك فلم اكن اعتقد انه يستطيع وهو بمفرده ان يفعل شيئا ضدكم كما انه لم يكن في وسعي ان اوصد الباب في وجهه إذا كان "فريسة" ارسلته "فاي" ..

- ولهذا ادخلته ؟ اليس كذلك ؟

-- بلى ادخلته .. المسالة يا"داتش" هي ان ..

فقال "كيلمان" يقاطعه بصوته العطوف الرفيق : كم اعطاك يا "جو" ؟

وفهم الرجل ما يرمي إليه الزعيم فاتسعت حدقتاه خوفا وصاح قائلا :

- هذا كذب .! هذا كذب .!إنه لم يعطني شيئا .. اقسم لك اني لم اره من قبل .

فقال "كيلمان": اقترب مني يا "جو"

واقترب "جو" من زعيمه وهو يرتعد وجلا .

وجذب "كيلمان" من سيجاره الضخم نفسا طويلامتصلا جعل طرف السيجار يلتهب كانه قطعة من الجمر .

وقبل أن يفطن "جو" إلى ماحدث تحركت يد "كيلمان" في سرعة البرق وفركت طرف السيجار الملتهب في وجنة حارس الباب .

وصرخ الرجل متوجعا وارتد خطوة إلى الوراء ولكن بعد ان الهبت

النار بشرته .

ولم يتحرك احد من الحاضرين بل لقد انفرجت اساريرهم كانهم يشهدون رواية مضحكة .

واشعل "كيلمان" سيجاره ثانية وقال :

- إنك ولد طيب يا"جو" .. فانتظر في الخارج حتى استدعيك .

ولما اوصد الباب خلفه قال "كيلمان" يخاطب الحاضرين :

- يبدو اننا سنفقد "جو" .!

وشرب "بابيلوس" جرعة كبيرة من كاسه ثم قال : أصغ الي يا"داتش"

وكان صوته متهدجا ولكنه حاول ان يجعله هادئا ثابتا :

- إني لا ارى فائدة يا"داتش" في ان نقتل رجلا لأنه اخطا .. لقد ادخل "لوبين" .. هذا صحيح .. ولكنها غلطة وليست خيانة .. وكل إنسان عرضة للخطا.

ولم تكد هذه الكلمات تخرج من شفتيه حتى عرف غلطته . فقد صاح احد الحاضرين قائلا :

- وماالفرق بين الغلطة والخيانة مادامت النتيجة واحدة ؟

ولم يجرؤ "بابيلوس" ان يدافع عن نظريته لانه كان يعلم انه هو نفسه قد اخطا حين ارسل "لوبين" إلى "والينو" ومعه المسدس والمدية .

وقال "كيلمان" في صوت رقيق :

- نعم . ماالفرق بين الخيانة والغلطة مادامت النتيجة واحدة ؟

وانت ايضا يا "بابيلوس" ولد طيب .. لماذا ارسلت "لوبين" إلى "موري والينو"؟ ولماذا ارسلته دون أن تجرده من مديته ومسدسه ؟

واستجمع "بابيلوس" شجاعته وصاح قائلا : هل انت معتوه .! لقد ارسلته لأني اعلم ان "والينو" يريد ان يقابله .. ولم يكن معه مسدس أو مدية .. و"هيمي فيلدر"يستطيع ان يؤكد ذلك .. لقد فتشه

فصاح "فيلدر" قائلا : هل تريد أن ..

ولكن "بابيلوس" قاطعه بقوله :

- اجلس .. إني لا اتحدث عنك الآن .. لقد اردت ان اقول إن "داتش" اصبح مجنونا .. إنه يريد ان يعتبر ان كل شخص لمس "لوبين" قد انقلب خائنا غادرا.. سيتخلص من "جو" .. ثم مني .. ثم منك .. وهكذا

.. إنه يريد ان يقتل كل رجل في العصابة قبل ان تنزل به الضربة التي يعدها له "لوبين" .

ولكن "بابيلوس" لم يزد على هذا القول شيئا إذ اخرج "كيلمان" مسدسه وصوبه إليه وهو يقول : إنك تتكلم كثيرا يا "بابيلوس" . !

فامتقع وجه اليوناني وقال وهو يحاول ان يبتسم :

- إني أسف يا "داتش" .. إني لا اقصد ما اقول .. ولكن اليس من الافضل ان تقتل "لوبين" بدل ان تقتل احدنا ؟

فصاح "هيمي فيلدر" قائلا : هذا راي سديد .. نعم يجب ان نقتل "لوبين" .. وساتولى انا نفسي هذه المهمة .

فابتسم "داتش كيلمان" وقال ومسدسه مصوب إلى "بابيلوس" :

- نعم سنقتل "لوبين" حتى لا يقع احد في غلطة جديدة .. إنك ولد طيب يا "بابيلوس" .. انتظر في الخارج حتى أستدعيك . فإننا نريد ان نتحدث قليلا على انفراد .

وخرج "بابيلوس" من الغرفة يتعثر في خطواته دون ان ينطق بكلمة واحدة فقد كان يعرف من تجاربه السابقة الا فائدة من ان يدافع الإنسان عن نفسه ... وكان يعرف ايضا ان هناك معنى واحدا لهذه الجملة : "انتظر في الخارج حتى استدعيك"

وهذا المعنى هو انه حكم بالإعدام .

وجلس "بابيلوس" في البار وطلب قدحا من الشراب فلما اتاه به "توني" افرغه في جوفه دفعة واحدة .

وظل على مقعده صامتا شارد البال شان الرجل الذي يعلم انه قضي عليه بالموت وانه لن تمضي بضع ساعات حتى يصبح جثة هامدة !

ولم يكن له رجاء في أن يلقى معونة من احد .. كان "داتش كيلمان" جبارا عنيدا وليس في العصابة كلها رجل واحد يستطيع ان يرفع يده في وجهه وعلى حين فجاة ارتسم امام عينيه وجه رجل ليس من افراد العصابة ... رجل له عينان هازئتان وابتسامة متهكمة .

وايقن "بابيلوس" على الفوران هذا الرجل يستطيع ان يفعل مالا يجرؤ احد من زملائه على مجرد التفكير فيه .

فلماذا لا يلجا إلى هذا الرجل لكي ينقذه من حكم الإعدام الذي صدر

ضده..؟ وازاح "بابيلوس" كاسه الفارغة وانبعث واقفا ومشى إلى الباب.

ولما مر بالحارس "جو" تبادل الرجلان نظرة صامتة : كان كل منهما يعرف عن نفسه انه مقضي عليه بالإعدام وانه لم تبق له في الحياة إلا ساعات معدودات ولكن "جو" كان يجهل ان زميله انتهى إلى نفس مصيره . فلما فتح الباب له ليخرج إلى الطريق شيعه بنظرة مليئة بالحسرة والأسى وهو يقول في نفسه : لقد كتبت له الحياة ..!

دون ان يدري ان الموت كتب لكليهما ..! ولم يكد "بابيلوس" يخرج إلى الطريق حتى وثب إلى سيارته مسرعا وهو يخشى أن يلحق به رجال العصابة إذا ماعرفوا بخروجه . وما استقر على المقعد حتى اطلق لسيارته العنان واخذ ينهب بها الأرض نهبا .

لم يكن يدري اين يمكن ان يهتدي إلى "ارسين لوبين" ليستنجد به ولكنه كان يدري شيئا واحدا هو ضرورة الابتعاد وباسرع مايمكن عن حانة "شارلي" وعمن في حانة "شارلي" ..!

وعلى حين فجاة شعر بحركة خلفه .. فلم يلتفت إلى الوراء حتى لا تضطرب عجلة القيادة بين يديه . ولكنه رفع عينيه إلى مراة السيارة .

وراى يدا تبرز خلفه من الظلام مرتفعة من بطن السيارة .. وكان في هذه اليد مسدس رهيب ..!

وارتعد "بابيلوس" واضطربت يداه وزاغت منه السيارة يمينا وشمالا وقد ايقن ان ساعة الإعدام قد ازفت ..!

ولكنه بذل جهدا خارقا حتى تمكن من ضبط حركة السيارة .

وفي تلك اللحظة شق السكون صوت .. لم يكن صوت مسدس ينطلق .. وإنما كان صوت رجل يقول : كيف حالك يا "بابيلوس" ..!

وكان صوتا هازئا متهكما .. لانه لم يكن إلا صوت "ارسين لوبين" ..!

الفصل الخامس

حين سمع "بابيلوس" هذا الصوت ذهبت عنه رعدة الخوف التي كانت قد سرت في أوصاله وهمس قائلا : إني سعيد بلقائك .. كان في نيتي ان ابحث عنك.

فقال "لوبين" في صوت ودود : حقا ..! أكنت تنوي ان تبحث عني ..؟ ياللصدفة السعيدة ..! لقد صدق من قال إن من القلب إلى القلب رسولا.

وذكر "بابيلوس" مقابلة اخرى جرت بينه وبين "لوبين" . مقابلة كان فيها "لوبين" أسيرا بين يدي رجال العصابة والمسدسات مصوبة إليه .

وفي هذه المقابلة لم يقل "بابيلوس" إنه سعيد بلقاء "لوبين" وإنما رفع يده ولطمه على وجهه .. ومحال ان ينسى "لوبين" هذه اللطمة .. ومحال ايضا ان يصدق أن "بابيلوس" كان حقيقة في هذه اللحظة سعيدا بلقائه !

وقال "بابيلوس" مرددا جملته في صوت متحشرج :

- نعم .. كنت ابحث عنك .. كنت أريد أن اتحدث إليك .

ويظهر انك كنت شديد التلهف إلى لقائي إلى درجة جعلتك تنطلق بالسيارة في حركة فجائية سريعة حتى خيل لي انك تركت وراءك نصفها الخلفي .

فقال "بابيلوس" في صوت مرتعد : بل أسرعت لأن ورائي مدفعا رشاشا ولم يقل "لوبين" شيئا .. ولكنه ضحك فصاح "بابيلوس" قائلا :

- اقسم اني لا اكذب .. لقد صدر الحكم بإعدامي .. لقد ارسلتك إلى "والينو" ومعك المدية فاعتقدوا اني على اتفاق معك وانك اشتريت إخلاصي .. لقد تقرر "إعدامي" .

فهز "لوبين" راسه وقال : ولهذا خطر لك ان تبحث عني وان تذهب إليهم براسي حتى يصدر العفو عنك .. ولكن اعلم ياصاح اني اكره ان ادفن مجزا .. إني احب أن يودع راسي وجسمي في قبر واحد .

فصاح "بابيلوس" متوسلا : قلت لك إني لا احاول ان اخدعك .. إني اصارحك بالحقيقة .. إني اريد ان اعقد صفقة معك .

فقال "لوبين" هازئا : وبكم تشتري اللطمة التي اعطيتها لي بالأمس..؟

- الا تصدقني يارجل ! قلت لك إنهم حكموا علي بالإعدام .. إنهم يعدون المدفع الآن لإطلاقه علي .. وانت الرجل الوحيد في العالم الذي يستطيع ان ينقذني منهم .. لقد لطمتك حقيقة بالأمس . ولكن الموقف إذ ذاك كان مختلفا .. ومع ذلك فالطمني الآن إذا شئت .. الطمني مائة مرة بل الف مرة .. ولكن انقذني منهم ..إني على استعداد لأن اساعدك يا "لوبين" إذا نسيت ماحدث بالأمس . انس ماحدث واعف عني وانقذني منهم .. إن في وسعي ان امدك بمعلومات خطيرة .. لاتقتلني ولكن اصغ إلي .. إني اعلم انك كنت تنتظرني لتاخذني "للنزهة"ولكن ..

فقاطعه "لوبين" بضحكة ساخرة اردفها بقوله :

- يظهر يا "بابيلوس" انك مخدوع في نفسك .. اتعتقد حقا ان "لوبين" يمكن ان يهتم بشخص مثلك ..إني اطا امثالك من الديدان الحقيرة عرضا وانا اسير في طريقي .. لقد كنت اعتقد ان هذه سيارة "داتش كيلمان" فاردت أن انتظره فيها ..

فصاح " بابيلوس" قائلا :إذن فانت تريد "داتش" ؟ إنك في حاجة إلى "داتش" اضعاف ما انت في حاجة إلي .. اتفقنا إذن .. سامهد لك السبيل إلى اقتناص "داتش" .. سانكر لك كل ما اعلمه عنه متى يخرج ؟ ومتى يدخل ؟ واين يذهب ؟ بل إن في وسعي أن اساعدك على أن تقتنص كل رجل في العصابة .

واستمر "بابيلوس" في حديثه محاولا ان يقنع "لوبين" بانه صادق النية فيما يقول وهذا يابى أن يصدقه اعتقادا منه بانها حيلة يعمد إليها "اليوناني" لينقذ نفسه من حكم الإعدام الذي اصدره ضده "لوبين" نفسه .

كان "بابيلوس" يعلم من امثولة "اربول" انه مقتول لا محالة .. فلما راى "لوبين" خلفه ومسدسه مثبت في ظهره هداه ذهنه إلى هذه الخدعة فيلقي إلى "لوبين" معلومات لا شان لها حتى يخلي سبيله .

وصاح "بابيلوس" اخيرا وقد استولى عليه الياس :

- لا تقتلني .. ولكن اصغ إلي بضع دقائق .. ساقول لك كل ما اعلم فإذا رايت اني كاذب فيما اقول فاقتلني كالكلب .

وقال "لوبين" في صوت هادئ : إن المقبرة التي انوي ان ادفنك فيها لا تزال بعيدة فيمكنك ان تتكلم كما تشاء حتى نصل إلى بابها !.

وتكلم "بابيلوس" فقال : إن العصابة لا تنوي ان تشتغل بخطف الأطفال .. خطف الأطفال مهنة خطرة ولاداعي لها .. إن عملنا في المستقبل سيكون الحماية .. نقول لرجل مثل "انسلهيم" : " ادفع مبلغ كذا وإلا قتلنا طفلتك .. " فإذا دفع تولينا حماية الطفلة وإذا ابى قتلناها .. فهل تعتقد ان إعادتك "فيولا" إلى ابيها اية فائدة .؟ كلا .. إنه سيضطر إلى مواصلة الدفع و إلا قتلت.. لن نختطفها مرة اخرى لان للخطف مشاقه واخطاره .. ولذلك كان أول ما فعلناه هذا الصباح ان اتصلنا تليفونيا "بانسلهيم" وقلنا له : " ادفع المبلغ المطلوب وإلا لن تكون لك طفلة ينقذها "لوبين" . نعم .. فحتى من كان مثلك لا يستطيع أن يعيد الحياة إلى طفلة قتلت .

فابتسم "لوبين" وقال :

- وهل تعتقد يا "بابيلوس" ان مثل هذه الحكاية التافهة كفيلة بان تجعلني أطلق سراحك ؟ يجب أن تفضي إلي بمعلومات اهم من هذه

فتقبضت يد "اليوناني" على عجلة القيادة وهتف قائلا :

- ساخبرك بما تشاء .. سلني اجبك .

فقال "لوبين" في صوت بارد :

- هناك سؤال واحد إذا ادليت إلي بجوابه عفوت عنك .

- وما هذا السؤال ؟

- من يكون الرفيق الكبير؟

فصاح "بابيلوس" قائلا لا أستطيع أن أجيب عن هذا السؤال .

- حقا ..! ولماذا ..؟

- لأن الإجابة مستحيلة ..! لوكنت اعلم لما ترددت .. ليس في العصابة كلها من يعلم الجواب غير "الرفيق الكبير" نفسه بالتاكيد .. "والينو" لا يعرف . وكيلمان" لا يعرف .. والتليفون هو الوسيلة

الوحيدة للاتصال به .. ولا يعرف رقم التليفون إلا شخص واحد .

فقال "لوبين" في صوت يدل على العطف :

- وتكون سيء الحظ إذا لم تكن انت هذا الشخص .

فصاح "بابيلوس" قائلا :إني لست هذا الشخص .. ولكني ساخبرك باسمه .. إنه .. يا إلهي .! ماهذا .!

وانطلقت من فم "بابيلوس" صرخة تدل على الرعب والفزع !

وارسل " لوبين" بصره إلى حيث كان صاحبه ينظر فراى سيارة تنهب الأرض في نفس الاتجاه .. وكانت نافذتها مفتوحة .. ومن هذه النافذة تتراءى للعين فوهة مدفع رشاش !

وادرك "لوبين" الخطر الداهم فانبطح على وجهه في قاع السيارة وفي اللحظة التالية دوت الطلقات النارية وانهال على المقعد الامامي سيل من النار .. !

* * *

اخذ زجاج السيارة يتناثر حول " لوبين" ولكن لم تصبه رصاصة واحدة من ذلك السيل الجارف الذي كان ينطلق من فوهة المدفع الرشاش إذ كان المقعد الامامي الذى يجلس عليه " بابيلوس" هو هدف المعتدين .

وسكنت عاصفة الموت .. وشعر " لوبين" بان السيارة اخذت تتلوى يمينا ويسارا.. ولم تكد تمضى لحظات حتى اصطدمت اصطداما عنيفا !

ولبث " لوبين" في مكانه تحت الأنقاض لا يتحرك وقد استولى عليه ذهول خفيف سمع في خلاله صرخات امراة وصوت صفارة البوليس وجلبة قوم ينادون ويصيحون .

وادرك " لوبين" ان الانتظار لا يتفق وخطته فتحامل على نفسه وازاح انقاض السيارة وخرج من بينها فراى حشداً من الناس قد هرع إلى المكان واحاط به إحاطة السوار بالمعصم .

وكان لا بد له ان يشق لنفسه طريقا .. وان يبتعد عن هذا المكان باسرع ما يمكن . ولكن نظرات الجمهور جعلت تنتهبه في فضول شديد فوضع يده على جيبه الخلفي وكانت هذه الحركة منه واضحة

المعنى فانفض الناس من امامه واوسعوا له طريقا يمر منه .

وانطلق " لوبين" وهو يوسع الخطا إلى الشارع الجانبي وانعطف في أول طريق لقيه ليضلل شهود الحادث إذا أراد احد منهم ان يرشد رجال البوليس إلى الطريق الذي سلكه .

ومرت به سيارة استوقفها بإشارة من يده ووثب إلى داخلها دون ان ينتظر وقوفها وصوب مسدسه إلى السائق وهو يقول :

- استمر في طريقك واسرع !

واطاع السائق الأمر الذي صدر إليه من " لوبين" .. اومن المسدس بعبارة ادق.. وقال : الست انت " ارسين لوبين" . ؟

فدهش " لوبين" وقال : وكيف عرفتني ؟

فاجابه السائق في لهجة تدل على الارتياح : لقد عرفتك من صورتك التي نشرتها الصحف بالأمس .. وإني مسرور لأنك خرجت سليما من هذه المعركة كما اني مسرور لأنك انقذت تلك الطفلة المسكينة .

فقال " لوبين" : اما انا فمسرور لأني قابلتك .

واسترسل السائق قائلا : إني أكره "موري والينو" .. منذ بضع سنوات كان يفرض إتاوة على كل صاحب سيارة فمن ابى ان يدفعها نسف سيارته ولكم أرهقني بهذه الإتاوة .

ولما بلغ " لوبين" المكان الذي ينشده قال للسائق :

- قف هنا .. وشكرا لك .

فقال السائق في ابتهاج : إني أحب أن أخدم رجلا مثلك .. فإذا احتجت إلي يوما من الأيام فاتصل تليفونيا بمطعم " كولومبيا" .. تليفون رقم ٠٩٤٧٨٩ إنني اتغدى هناك دائما .

وقفز " لوبين" من السيارة بعد ان دس في يد السائق ورقة مالية من فئة العشرين دولارا وهو يقول :إذا احتجت إليك فساستدعيك بالتاكيد.

ولكنه لم ير مايدعوه إلى الثقة المطلقة بهذا السائق فدخل محطة السكة الحديدية القريبة من المكان وخرج من بابها الخلفي ثم دار حولها ونهب إلى فندق "استوريا" عن طريق ملتو حتى يعتقد السائق إنه كان ينوي السفر .

وقال " فالكروس" يساله : لقد عدت مبكرا فما الذي حدث ؟

فاشعل " لوبين" سيجارة وارتمى على المقعد وهو يقول :

– لاشيء .. وكل شيء .. لقد قتل رجل يدعى "بابيلوس" .. إن اسمه لم يكن مدرجا في القائمة ولكن العصابة قتلته لانها اعتقدت خطا انه خانها .. فلما عرف أن حكم الإعدام صدر عليه اراد ان يفضي إلي بكل ما يعلم .. ولكن صوت المدفع الرشاش كان اعلى من صوته فاضطر إلى ان يسكت ليتكلم المدفع !

– إنك تجازف بحياتك يا "لوبين" فيحسن بك ان تكون اكثر حذرا فقال "لوبين" وهو يبتسم : كن مطمئنا يا "بيل" فإني لن اموت إلا بعد ان اقتنص "الرفيق الكبير" .. وبهذه المناسبة .. الم تذكر لي انك متكفل بجميع نفقات هذه اللعبة ؟

– بلى ذكرت .. فكم تريد ؟

واخرج " فالكروس" من جيبه دفتر الشيكات ولكن " لوبين" هز راسه وقال :

– لا اريد مالا .. ولكن اريد سيارة .. سيارة صغيرة الحجم عظيمة السرعة فإني اعتقد مما سمعته من " بابيلوس" ان حادثا مهما سيقع عند بيت "انسلهيم" .. وقد تنفعني السيارة .

ولما ارخى الليل سدوله كانت السيارة الجديدة في انتظاره عند الباب فركبها وطار مسرعا إلى ميدان "ساتون" .

ولكنه لم يقف عند بيت " اسكل انسلهيم" وانما وقف على مسافة قريبة منه حتى لا يلفت إليه الأنظار

لقد انباه " بابيلوس" قبل ان يموت بان العصابة انذرت " انسلهيم" تليفونيا في صباح ذلك اليوم بان طفلته ستقتل إن لم يدفع الفدية المطلوبة .

ولاشك أن الأب الحنون لا يريد أن تقتل طفلته .. وكان " لوبين" متلهفا إلى ان يشهد الطريقة التي سيتم بها الدفع

ونزل " لوبين" من سيارته ومشى يتسكع على الإفريز وعيناه على باب البيت الذي يقطنه والد "فيولا" .

ولمح رجلا متواريا في الظلام على مقربة من الدار فقال في نفسه ؟

– يظهران العصابة رصدت احد رجالها لمراقبة الأب الحنون وفتح

باب البيت وخرج منه رجل يحمل تحت إبطه لفافة كبيرة من الورق .
وسقط ضوء المصباح على وجه الرجل فعرف " لوبين" انه هو بعينه "اسكل انسلهيم"

فهز راسه وقال : ليت شعري اي شيء في هذه اللفافة ؟ إن فيها فيما اعتقد رزما من الأوراق المالية .. لقد قرر "انسلهيم" ان يدفع . ولكنني لن اجعله يدفع!

ودنا "انسلهيم" من الرجل المتواري في الظلام على مقربة من البيت ولكنه لم يناوله اللفافة وإنما تحدث إليه هنيهة ثم صعد إلى سيارته واللفافة لا تزال تحت ابطه .

فادرك " لوبين" ان هذا الرجل ليس من العصابة وانه على العكس من ذلك : شرطي سري اقامه " انسلهيم" عند الباب ليسهر على حماية الطفلة المحبوبة وانطلقت سيارة " انسلهيم" تنهب الارض
وكانت هناك سيارة اخرى منطلقة في إثرها وفيها " ارسين لوبين" !

* * *

ظلت السيارتان تطويان الطرق في نفس الاتجاه حتى بلغتا ضواحي المدينة . فراى " لوبين" من الحكمة ان يطفئ انوار سيارته حتى لا يلفت إليه انظار "انسلهيم" . فليس هناك ما يثير الفضول إذا اتخذت سيارتان طريقا واحدا في قلب المدينة العامر بالمركبات الرائحة الغادية
ولكن هناك ما يثير كل الفضول إذا استمرت هذه المطاردة خارج المدينة في الشوارع غير المطروقة
واستمرت هذه المطاردة فترة طويلة من الوقت .

وعلى حين بغتة اوقف " لوبين" سيارته إذ راى ان سيارة " انسلهيم" قد وقفت على قيد ثلاثين ياردة منه .

ولم ينزل " انسلهيم" من سيارته ولكن " لوبين" راى على الأشعة المنبعثة من مصابيحها جسما اسود اللون يخرج من النافذة ويطير في الهواء ثم يستقر على الأرض في صوت سمعه " لوبين" في هذا السكون الذي يشمل الارض .

وعرف على الفور ان هذا الشيء ليس إلا اللفافة التي فيها الفدية .
وقفز " لوبين" من سيارته وانطلق صوب المكان الذي سقطت فيه

اللفافة في الوقت الذي تابعت فيه سيارة " انسلهيم" طريقها .
ولم يثب " لوبين" إلى اللفافة بل توارى خلف إحدى الأشجار مكتفيا بالنظر إليها وهي في موضعها تغمرها أشعة القمر .
وبعد دقائق سمع " لوبين" خشخشة الشجيرات القريبة من اللفافة .. ثم أزيحت الأغصان وبرز من بينها رأس رجل تبعه كتفان ..!
وامتدت يد الرجل لتلتقط اللفافة .. وقبل أن يلمسها كان " لوبين" قد أخذ بخناق الرجل وهو يقول في صوت لطيف :
- أهذا أنت يا عزيزي "هيمي فيلدر" ..؟ إني سعيد بلقائك !
وحملق الرجل في وجه " لوبين" وقد عقدت المفاجأة لسانه وجعلت اللون يغيض من وجهه .. ففتح فمه دون أن يتكلم !
فقال له " لوبين" مازحا :
- إني لست عفريتا .. ولكن اسمح لي أن أحمل عنك هذه اللفافة .
والتقط اللفافة مسرعا دون أن يتصدى "هيمي فيلدر" لمنعه .. وحين ملك صوته كانت الكلمة الوحيدة التي نطقها هي قوله : مجنون !
وتأبط " لوبين" اللفافة وهو يقول :
- الآن وداعا أيها الصديق العزيز ..!
وقبل أن يتحول لينصرف سمع خفق نعل على قيد خطوات منه .. والتمعت عينا "فيلدر" ببريق الأمل فابتسم " لوبين" وهمس في أذنه قائلا :
- كلا يا صديقي .
وارتفع صوت القادم قائلا
- هل عثرت عليها ؟
وتولى " لوبين" الإجابة :
- كلا ياصاح .. إن "هيمي" لم يعثر عليها .. ولكني أنا الذي عثرت عليها .. فارفع يديك فوق رأسك وإلا ..
وقبل أن يتم " لوبين" جملته دوى طلق ناري وأصابت الرصاصة الشجرة التي كان " لوبين" واقفا عندها ..!
وضاقت عينا " لوبين" وضغط زناد مسدسه ..!
لم يكن في نيته أن يقتل الرجل لأنه ما كان ليحفل بالحشرات

الحقيرة ولهذا إكتفي بان سدد المقذوف إلى المسدس الذي يحمله الرجل.

وطار المسدس من يده ولكنه لم يرض بالهزيمة فوثب يريد الانقصاص على "لوبين" .

وتلقاه " لوبين" بان ضغط الزناد مرة اخرى . ولكن الرصاصة لم تنطلق لأنها كانت رصاصة فارغة !

وقبل ان يضغط " لوبين" الزناد للمرة الثالثة كان الرجل قد وصل إليه واشتبك معه في عراك عنيف .

وكان الرجل ضخم الجسم كانه عملاق جبار . فكان ثقل وزنه من العوامل التي ضايقت " لوبين" على الرغم من براعته في فن المصارعة وحذقه الأساليب اليابانية .

ودام النضال طويلا واخذ الرجلان يتدحرجان على الأرض وكل منهما يحاول أن يشد بقبضته على عنق غريمه .

واخيرا الفى " لوبين" نفسه طريحا على الأرض والرجل جاثم فوق صدره وقد امسك بعنقه محاولا أن يخنقه .

وهتف الرجل قائلا : لقد نلته يا "هيمي" ..!! لقد نلته ..!!

ولكن " لوبين" لم يكن من الطراز الذي ينال بمثل هذه السهولة . فرفع يده التي كانت لا تزال ممسكة بالمسدس وضرب الرجل على صلعته بمقبضه ضربة جمع فيها كل قوته .

وتراخت يدا الرجل عن عنقه فدفعه " لوبين" عن صدره فتدحرج وسقط على الأرض ..!

ورأى "هيمي فيلدر" أن الواجب يقضي عليه بان يتدخل فاراد أن يثب بدوره على " لوبين" ولكن هذا لكمه في فكه لكمة القته على الأرض غائبا عن الوعي .

ونهض " لوبين" واقفا ونفض ثيابه ثم حمل اللفافة التي تحتوي على الأوراق المالية .

- وبعد لحظات كان منطلقا بسيارته راجعا إلى المدينة وقد خلف وراءه المقاتلين الجسورين راقدين على الأرض مستغرقين في النوم الهنيء .

الفصل السادس

يظهر انه لا ضرورة لأن نقول إن مستر "اسكل انسلهيم" كان يهوديا.

وهو رجل بدين الجسم اسود الشعر له عينان ضيقتان تزدادن ضيقا إذا ما استولى عليه الخوف. وله ابتسامة لطيفة جذابة وانف شديد التقوس من المؤكد انه كان السبب الاول الذي حمل هتلر على طرد اليهود من المانيا. وبهذا لايستطيع احد من النازي أن يعتقد انه يمكن أن يكون رجلاشريفا رحيم القلب وانه جمع ثروته بوسائل مستقيمة غير ملتوية .

وكان "انسلهيم" جالسا إلى مكتبه تلوح على محياه امارات الإعياء ونور المصباح يسقط على وجهه ليبرز للعين شدة امتقاعه وكانت يداه موضوعتين على المكتب ولكن لو انك تاملتهما قليلا لرايت فيهما رجفة خفيفة وكانت تحت عينيه خطوط زرقاء تدل على انه كابد في الأيام الأخيرة متاعب تمزق القلب .

وفي الطابق الأعلى كانت طفلته "فيولا" راقدة في فراشها غارقة في النوم الهنيء لايشغل ذهنها غير احلام الطفولة العذبة .

ومن أجل هذه الطفلة رضي اليهودي بان يدفع الفدية المطلوبة .

حقيقة قد أعاد إليه "فيولا" ذلك الشيطان المسمى " ارسين لوبين" دون أن يتقاضاه اجرا عن إنقاذها .. ولكن "انسلهيم" كان يعلم انه لابد ان يدفع الأجر.. للعصابة وليس " للوبين" .. حتى يكون مطمئنا إلى سلامة الطفلة .

وكان " انسلهيم" لا يجهل أن طفلته لم تخطف لأن في النية الفتك بها وإنما اريد من خطفها أن يكون نذيرا يحمله على الدفع

ولقد اتصلت به العصابة في صباح ذلك اليوم وامرته بان يدفع وإلا قتلت ابنته .

وكان هذا الإنذار هو السبب في تلك الرحلة التي قام بها إلى ضواحي المدينة حين القى لفافة الأوراق المالية من نافذة السيارة في المكان المتفق عليه دون أن يدري بان " لوبين" خلفه يرقبه ويرصد حركاته .

وكان " انسلهيم" وهو جالس إلى مكتبه يسائل نفسه عن السبب الذي يجعل مدينة عظيمة "كنيويورك" ... مدينة اجتمعت لها كل أسباب الثراء والرفاهية والقوة .. ما السبب الذي يجعل هذه المدينة واقعة في قبضة عصابة دموية لا هم لها إلا ابتزاز المال والفتك بالأبرياء دون ما رحمة أو شفقة .. ما السبب الذي يجعل البوليس عاجزا مكتوف اليدين امام هذه النكبات المتوالية ؟

ولكنه لم يكن في حاجة إلى أن يسمع جوابا من احد. لأنه كان يعرف الجواب كما تعرفه " أمريكا " باسرها .. لو أن القضاة كانوا شرفاء. ولو أن رجال البوليس كانوا غير مرتشين "لمسحت" هذه العصابات مسحا تاما منذ زمن طويل ... ولكن كيف السبيل إلى القضاء عليها والإرهاب ناشر جناحيه على المدينة .. والحكم للمدفع الرشاش .

وحين طافت هذه الخواطر بذهنه استولى عليه الغضب ... لا لأنه كان يأسف لأن المدينة في قبضة العصابات وإنما لأنه كان يعلم أن المال الذي دفعه لن يرد إليه .

وفي هذه اللحظة سرت في أوصاله رعدة فجائية .. لم تكن ناشئة عن الخواطر التي تواردت على ذهنه وإنما كان مبعثها تلك الحركة الخفيفة التي تبادرت إلى اذنه .

كانت نافذة المكتب مفتوحة .. وعندها وقف " ارسين لوبين" يرقب اليهودي بعينيه المرحتين اللتين تنبعث منهما سخرية مرة .

وعندما تكلم كان صوته أشد سخرية من عينيه .. كان وقع نبراته في الأذن اشبه بصليل السيوف .

ولقد مرت به لحظات وهو في مكانه هذا يتابع تلك الخواطر التي تصطخب في دماغ اليهودي .

وتكلم " لوبين" قائلا : كيف حالك يا " انسلهيم" ؟

ولم يكد اليهودي يسمع هذا الصوت حتى تبدد ما كان يشعر به من الغضب والنقمة. ولم يعد يفهم أو يدرك إلا شيئا واحدا هو أن طفلته المحبوبة راقدة في فراشها وليس هناك من يحميها من الموت الذي يترصدها .

وحملق " انسلهيم" في وجه " لوبين" بعينين ينبعث منهما الرعب

ورفع يديه إلى راسه يشد شعره كانه مجنون فقد الوعي .
ثم صرخ قائلا في نوبة عصبية :
- لقد دفعت .! لقد دفعت .! فماذا تريد ؟ ! لماذا لا تتركني في سلام ؟
وجلس "لوبين" على حافة النافذة وقال مجيبا :
- كلا ..إنك لم تدفع أيها الأخ .
فصرخ اليهودي للمرة الثانية قائلا : اقسم انني دفعت !
واكسبه الرعب شجاعة وبلاغة فاسترسل قائلا :
- لقد دفعت .. دفعت هذه الليلة .. كما نبهت علي .. لا شك انه حدثت غلطة .. ولكنها ليست غلطتي .. اقسم لك اني دفعت !
ومد " لوبين" يديه في جيوبه فكاد يغمى على المسكين اعتقادا منه أن عدوه سيخرج مسدسه .
ولكن " لوبين" اخذ يخرج من جيوبه رزما من الأوراق المالية ويلقي بها على المكتب تحت عيني اليهودي !
وكان " انسلهيم" يتابع بعينيه كل رزمة يلقيها " لوبين" وهي تطير من يده وتستقرعلى المكتب دون ان ينطق بكلمة واحدة لأن كان في ذهوله اشبه بالصبي الذي يرى ساحراً يخرج من اذنه اليسرى فارا ومن اذنه اليمنى أرنبا .
وتكلم " لوبين" في لهجة مرحة فقال : هذا هو مالك يا " اسكل" ... تسعون الف دولار. فقد حجزت لنفسى عشرة آلاف بمثابة عمولة تحصيل بنسبة عشرة في المائة .. وهكذا ترى انك لم تدفع .
وحملق " انسلهيم" في رزم الأوراق المكدسة على مكتبه وقد استولى عليه رعب جديد. ولكنه لم يحاول ان يلمسها كان في ملمسها الموت !
ولما تمالك روعه صاح قائلا : من اين جئت بهذه الرزم ؟
فقال " لوبين" مفسرا :
- يظهر انهاسقطت منك اثناء سيرك ولكنني كنت وراءك لحسن الحظ فالتقطتها .. ولا احسب ان دخولي من النافذة قد ساءك وارجوك ان تعذرني في ذلك فإني مولع باستعمال سلالم الحريق .
وساد الصمت برهة ثم استرسل " لوبين" قائلا :
- إني رجل شريف فلم يخطر لي على بال ان استولي على مالك ..

ولكن الشيء الذي يدهشني هو تلك الطريقة الشاذة التي تبذر بها ثروتك فإنني مهما كنت واسع الثراء فلن افكر في يوم من الأيام أن انثر الأوراق المالية في الطريق ذات اليمين وذات الشمال .

فازدرد " انسلهيم" ريقه وقال : هل تقصد أن تقول إنك التقطت هذه الأوراق من المكان الذي رميتها انا فيه ؟

فاحنى " لوبين" راسه وقال :

- هذا هو ما اردت ان اقنعك به منذ ساعة .. ولكن يظهر ان حظي قليل من الفصاحة وحسن البيان . فعندما رأيتك ترمي هذه الرزمة إلى الأرض قلت في نفسي : لا شك ان هذا الرجل مجنون

فانفجر " انسلهيم" قائلا :

- بل انت المجنون .! إنك بهذا العمل قد قتلتني .. قتلت ابنتي .

وكان صوته متهدجا مختنقا : إذا لم يصل هذا المال إليهم قتلوا ابنتي .

فتقدم " لوبين" إلى وسط الغرفة وجلس على حافة المقعد وهو يقول :

- حقا ..!

فصاح الرجل مزمجراً : يا إلهي .. لماذا خطر لك ان تتدخل .. ؟ ! اية اهمية عندك للأمر .. من انت .. ؟

فابتسم " لوبين" وقال : إنني الرجل الذي اعاد إليك ابنتك .

فهب " انسلهيم" واقفا وصاح قائلا : " ارسين لوبين" .. !

فاحنى " لوبين" راسه وتناول سيجارا من الصندوق الموضوع على المكتب فاشعله وهو يقول : اصبت .. إنني " لوبين" .. ولعلك قد فهمت الآن السبب الذي جعلني افضل ان استعمل سلم الحريق .. إنك مدين لي بحياة طفلتك فإذا كان لديك مال كثير تريد أن تتخلص منه بهذه الطريقة الشاذة فلا مانع عندي مطلقا من ان تقذفه إلى جيبي بدلا من ان تقذفه على الأرض .

وساد الصمت برهة واخيرا تكلم " انسلهيم" فقال : إني آسف لمسلكي معك .. إني لن انسى صنيعك مدى الحياة .. ولكن إذا اردت ان تساعدني فاخرج ودعني وحدي .. اني اريد ان اخلو إلى نفسي لأفكر .. يجب أن لايراك احد هنا.. إن عرفوا انك كنت هنا قتلونا نحن الاثنين

فقال " لوبين" في صوت هادئ : كلا . ليس الاثنان .. !
وساد صمت طويل جعل "لوبين" في خلاله ينظر إلى اليهودي كانه يريد أن ينحت له تمثالا .
وقال " انسلهيم" متسائلا : لماذا جئت لزيارتي الآن ؟
ونفث " لوبين" من فمه حلقة كبيرة من الدخان وقال : جئت لأعيد إليك هذه الأوراق ولأدخن سيجارا من سجائرك الفاخرة .. ولأشرب ذلك الكاس من الشراب الذي يلوح لى أن ليس في نيتك تقديمه إليَّ .. واخيرا لأرى إذا كان في وسعك ان تساعدني .
- وكيف اساعدك .. ؟ اتريد مالا .. ؟
فهز " لوبين" راسه وارسل بصره إلى رزم الأوراق المالية المكدسة على المكتب وقال :
- لو اني كنت اريد مالا لما جئت إليك .. فقد كان المال في جيبي كما ترى .. وفضلا عن هذا فإن لي صديقا من اصحاب الملايين وضع خزائنه تحت تصرفي وهي لم تفرغ بعد .. كلا .. إني لا اريد منك مالا وإنمّا اريد ثقتك ومعلوماتك .. خبرني بما تعلم .
فهز " انسلهيم" راسه في حركة ميكانيكية وقال : لن أخبرك بشيء .
فنظر " لوبين" في ساعته وتمتم قائلا : لماذا هذا التسرع يحسن بك ان تتريث .
وساد الصمت هنيهة ثم استرسل " لوبين" قائلا : من الجائز جداً يا"انسلهيم" أن ترجع عن رايك .. والرجوع عن الراى دليل على أن المرء حر في تفكيره وان له عقلا. وانه يستعمل هذا العقل .. وإني اعرف بالتاكيد أن لك عقلا وانك تحب أن تستعمله .
وكان " لوبين" يتكلم في بساطة ليس فيها شيء من التهديد او الوعيد. ولكن "إنسلهيم" لم يكن من الغباوة بحيث يغفل عن أن هذه البساطة هي شعار "لوبين" وانه حين يتكلم بمثل هذه الطريقة يكون خطرا رهيبا .. فلو ان مسدسا كان مصوبا إليه لما كان اشد وقعا في نفسه من هذه الكلمات الناعمة اللينة .
ولما سكت " لوبين" تكلم " انسلهيم" فقال في صوت مرتعد :
- وعن اي شيء تريد أن تسالني .. ؟

فنظر إليه " لوبين" وكانت نظرته مجردة عن الزهو أو الانتصار .. وقال :

- حدثني بكل ما تعلم .

فقال "انسلهيم" معترضا :

- ولكنك تعلم من الأمر مثلما اعلم انا .. لقد اختطفوا فيولا لاني ابيت أن ادفع ثمن الحماية .

فقال "لوبين" مرددا : ثمن الحماية .. إني أعلم ذلك فاستمر .

- ولكنك لا تعلم بالتاكيد ان إنقاذك "فيولا" لن يجدي علي شيئا فإذا ابيت ان ادفع قتلوها .

- ولكن من الذين سيقتلونها ؟

- لا ادري .. لست اعرفهم

فهز "لوبين" راسه وقال :

- هذا جائز بالتاكيد .. ولكن لديك على الاقل فكرة عنهم .. ما الطريقة التي يتصلون بك بواسطتها . ؟ التليفون .. اليس كذلك . ؟ ولكن هب مداعبا ثقيلا هو الذي هددك .. كيف عرفت أن التهديد جدي .. ؟ هل إذا جاءك رجل من عرض الطريق وامرك بان تدفع فهل كنت ترضى بان تدفع ؟ إن مجرد التهديد لا يكفى لحملك على الخضوع .. فلا بد ان هناك أمراً معينا جعلك تعتقد أن العصابة جادة فيما تقول .. وهذا هو ما اريد ان اعرفه .

ونهض "انسلهيم" واقفا وجعل يتمشى في ارجاء الغرفة وقد لاحت على وجهه امارات الاضطراب .

وجعل "لوبين" يرقبه وهو يعلم بتلك العاصفة التي تصطخب في صدره . هذا النضال الرهيب بين الخوف والجراة .. إنه يريد ان يتكلم ولكنه خائف .

وكان "انسلهيم" قد بلغ في سيره جدار الغرفة فارتفعت يده في سرعة البرق وضغطت زرا في الجدار ثم تحول إلى "لوبين" وقال في لهجة تدل على الانتصار : والآن هيا اخرج .. ! هذا الجرس متصل باحد رجال البوليس السري الذين استاجرتهم لحراستي .. إني لا اريد ان انزل بك اذى لأني مدين لك بكل شيء .. ولكني لا استطيع ان اتكلم .. لان كلمة

واحدة تخرج من شفتي معناها الموت .. موتي وموت "فيولا" .. !

فقال "لوبين" في صوت رقيق : إني لا ارضى لك ذلك بالتاكيد .

ومشى إلى النافذة فتخطى حافتها ووقف على سلم الحريق وقال :

- إني مازلت في انتظار معلوماتك .. وسنلتقي في يوم آخر فهز اليهودي راسه وقال : محال ان اتكلم .. ! فرماه " لوبين " بنظرة إزدراء وقال :

- إنك ستتكلم في مرة اخرى !

ثم اخذ يهبط السلم وما لبث ان ابتلعه الظلام .

والواقع ان هذه الزيارة لم تسفر عن اية نتيجة فما خرج منها "لوبين" بشيء جديد .. كان في وسعه على الأقل ان يظفر بالتسعين الف دولار . ولكنه ابى إلا ان يعيدها إلى صاحبها شان الرجال الشرفاء .

واخذ يلعن نفسه لقلة احتياطه إذ مكن "انسلهيم" من ان يستدعي الحارس .. ولكنه سيكون اكثر حذرا في المرة القادمة وسيعرف كيف ينتزع الكلام من هذا اليهودي الماكر .

ويظهر ان "لوبين" كان منهمكا في هذه الخواطر وهو ينزل السلم فلم ينتبه إلى الخطر الذي كان في انتظاره .

فما استقرت قدماه على الأرض حتى شعر بجسم صلب يضغط ظهره وسمع صوتا يقول :

- تعال معنا ايها الصديق لنذهب بك إلى "نزهة" صغيرة !

* * *

لم تبد على وجه "لوبين" ذرة من القلق او الانزعاج وهو يجتاز عتبة الغرفة الداخلية في حانة "شارلي"

ومضى يتصفح وجوه الحاضرين كانما يتفرج على تماثيل مرصوصة في احد المعارض. والحق ان وجوه هؤلاء الرجال كانت جديرة بالتامل لان فيها اصدق تعبير عن روح الشر والجريمة. وكذلك مضى الرجال ينظرون إليه متفرسين ليروا عن كثب وجه هذا الرجل الذي جاء إلى تلك البلاد ليتحدى الحديد والنار .

وكان "لوبين" مجردًا من السلاح إذ فتشه اعداؤه واحسنوا تفتيشه في هذه المرة فانتزعوا حتى تلك المدية المشدودة إلى ذراعه والتي غفلوا

عنها في المرة الأولى. بل لقد بلغ من ريبتهم انهم جردوه من علبة سجائره ومن مبراته ومن القلم الرصاص اعتقادا منهم أن هذا الشيطان قد يحيل حتى مثل هذه الأشياء إلى أسلحة يتوسل بها إلى النجاة .

ولو أن رجلا غير "لوبين" جرد من أسلحته بمثل هذه الدقة لاستولى عليه الانزعاج .. ولكن "لوبين" على العكس من ذلك كان مبتهجا مسرورا إذ رأى في هذه العناية خير دليل على أن له في نفوس هؤلاء القوم مكانة عظيمة لقد ظل يبتسم .. وظلت عيناه ترسلان هذا الوميض الساخر الهادئ الذي يثير الأعصاب ويهيج النفوس .

وتمتم "لوبين" وهو يدير عينيه في الحاضرين : مرحبا بكم أيها الإخوان .. ! صدقوني إني كنت شديد اللهفة إلى لقائكم .. وليت شعري أي نوع من الاستقبال أعددتم لي الليلة .. ؟

وكان "هيمي فيلدر" بين الحاضرين وقد شد إلى رأسه بعض الضمادات والأربطة كتحية يقدمها إلى المعركة التي جرت في الليلة الماضية .

ومال "فيلدر" إلى "كيلمان" وقال : إنه مجنون .. هذا الرجل مجنون . !

وكان "كيلمان" جالسا على مقعده كانه صخرة لا يتحرك وعيناه مثبتتان على "لوبين" ينظر إليه من قدمه إلى رأسه .

ولكن "لوبين" لم يكن مهتما "بكيلمان" أو بهيمي فيلدر" أو باحد من هؤلاء الطغام وإنما كان بصره عالقا بتلك الفتاة الجذابة "فاي ادواردس"

وكان غريبا ذلك الأثر العميق الذي تتركه هذه الفتاة في نفسه كلما عبرت طريقها .

إنه لم يكن يعرف عنها شيئا حتى الآن .. لقد سمع صوتها في التليفون وهي تتحدث إلى القاضي "ناتير" .. أو خيل إليه أنه سمع صوتها لأنها لم تكن قد تكلمت حتى هذه اللحظة ليتحقق من أنها هي بعينها صاحبة ذلك الصوت الموسيقي العذب .

لقد رآها في مقر العصابة في الليلة التي استعاد فيها "فيولا انسلهيم" ولكنها ظلت صامتة لاتنطق بكلمة واحدة .. وحين دفعت

المسدس إلى يده لبثت مطبقة الفم أيضا .. ! ولكنه على الرغم من صمتها .. وعلى الرغم من انه لم يسمع أحدا يذكر اسمها كان موقنا انها لا بد أن تكون "فاي ادواردس" التي هم "فرساك" بان يحدثه عنها .

وكان وجهها هو الوجه الوحيد في هذه الغرفة الذي يذكر المرء بان في الدنيا جمالا رائعا .. ! وكان "لوبين" سعيدا وهو ينظر إليها .. !

فعلى الرغم من المسدسات المصوبة إليه .. وعلى الرغم من الخطر الذي يترصده .. وعلى الرغم من يقينه بانه وشيك بان يقتل - كان سعيدا وهو يتامل في وجهها هذا الحسن الفتان .. !

وكان هناك سؤال يتردد في ذهنه دون أن يدري له جوابا :

لقد اعانته وهو في شدته .. وزودته بالمسدس .. فلماذا .. ؟ لماذا فعلت هذا..؟

اي سبب حملها على إنقاذه .. ؟ هذا هو السؤال الذي أعياه جوابه .

كانت جالسة على مقعدها جامدة الوجه كانها تعيش في غير هذه الدنيا ولا تدري بما يجري حولها .

حين دخل الغرفة استقر بصره عليها. وقد خيل إليه انه راى في عينيها وميضا غريبا .. ولكن هذا الوميض مالبث ان اختفى بمثل السرعة التي ظهر بها .. وارتدت "فاي ادواردس" كما كانت جامدة كانها قطعة من الصخر .

والتفت إليها "داتش كيلمان" وقال : هذا هو " ارسين لوبين" .. !

فقالت الفتاة وعيناها مسمرتان على "لوبين"

- نعم إنه الرجل الذي قتل "موري والينو" .

ولأول مرة سمع "لوبين" صوتها .. وكان هو نفس الصوت الموسيقي العذب ..! فسرت في أوصاله نفس النشوة اللذيذة التي شعر بها حين سمع صوتها في التليفون .

وقال "لوبين" يخاطبها : طاب مساؤك يا "فاي" .

واطالت الفتاة نظرتها إليه ثم تناولت سيجارة من حقيبتها فاشعلتها وعلى الضوء المنبعث من عود الكبريت راى "لوبين" في عينيها ذلك الوميض الخاطف الذي رآه عند دخوله الغرفة منذ دقائق

ولكنه لم يصدق عينيه وخيل إليه أنه إنما رأى هذا الوميض بعين

الوهم والخيال .

وأوما "كيلمان" براسه إلى أحد رجاله . فمشى الرجل إلى باب في الغرفة غير الباب الذي دخل منه "لوبين" ففتحه وهو يقول : تفضلا .

فدخل الغرفة رجلان .

كان أحدهما طويل القامة عريض المنكبين كانه عملاق جبار يعلو عينيه حاجبان كثيفان. اما الثاني فكان على النقيض من صاحبه ضئيل الجسم اصلع الراس ذا شارب صغير محفوف. فجعل "لوبين" يتاملهما ويقارن بينهما وهو يبتسم مبتهجا وقد استولت عليه رغبة ملحة في أن ينزع حاجب العملاق الكثيف ليلصقه في الموضع اللائق به تحت انف الرجل الضئيل ليجعله شاربا له.. !

وعرف "لوبين" الرجلين بمجرد النظرة الاولى. فالعملاق هو مستر "روبرت اركريد"زعيم تلك الجماعة السياسية التي تتولى القيام بالحملات الإرهابية لمصلحة بعض المرشحين مستعينة بالعصابات. أما الرجل الضئيل فكان مستر "ماركوس بيلد" النائب العمومي لمدينة "نيويورك" !

ويظهر أن الرجل الضئيل كان يعرف من تاريخ "لوبين" ماجعله يقف متباعدا في ركن الغرفة دون أن يجرؤ على الدنو من "الشيطان" بالرغم من المسدسات التي كانت جديرة بان تحميه من اي خطر يتهدده وكانت نظراته حافلة بالخوف فلم يملك "لوبين" نفسه وهو ينظر إلى جسمه الضئيل من أن يقول له : بخ .. !

وكما كان يتوقع "لوبين" ارتعد الرجل خوفا .

وقال "اركريد" يخاطب "لوبين" : إذن فانت الرجل الذي كنا نبحث عنه

– نعم إنني هذا الرجل يا "اركريد" فحملق فيه العملاق وقال :

– وكيف عرفت اسمي .. ؟

– من صورة لك رايتها في إحدى المجلات .

وجعل "اركريد" يصعد "لوبين" بنظراته ثم قال :

– إني ارى الاّ فائدة في اللف والدوران .. ولذلك ساخاطبك في صراحة تامة.. لقد سببت لنا متاعب كثيرة .. ولعلك تعرف أن جرائم القتل التي ارتكبتها كفيلة بان ترسلك إلى الكرسي الكهربائي

فقال "لوبين" مجيبا : الواقع اني لم اكن اعرف هذا. فعندما حضرت إلى هذه البلاد كنت اعتقد انه لاداعي لأن يحصل الإنسان على ترخيص لكي يباح له قتل الناس .

فقال "اركريد" في لهجة تهديدية :

– إن الكرسي الكهربائي مصير كل مخبول يحضر إلى هذه البلاد وهو يعتقد ان في وسعه ان ينظفها .. وانت تعلم بالتاكيد ما ينبغي أن افعله الآن .

فقال "لوبين" مصححا : بل اعلم ما "كان" ينبغي لك ان تفعله .. ! إن الواجب يقضي عليك بصفتك رجلا شريفا ومن انصار القانون والنظام ان تستدعي شرطيا وتسلمني له .. ولكنك لن تجرؤ على هذا لان الناس قد يسالونك عن السبب الذي اتي بك إلى هذا المكان .

وساد الصمت هنيهة واشعل "اركريد" سيجارا ضخما جذب منه بضعة انفاس ثم قال : ليس في نيتي أن استدعي شرطيا .. لسبب واحد هو انك لاتزال في مقتبل العمر ومما يؤسف له ان يموت من كان مثلك وهو غض الشباب .. إنك تكره بالتاكيد ان ترسل إلى الكرسى الكهربائي او تؤخذ إلى "نزهة" صغيرة اليس كذلك ؟

ولبث "لوبين" صامتا لايتكلم فاسترسل "اركريد" قائلا :

– لو انك اتيت لمقابلتي بمجرد قدومك إلى هذه البلاد لأمكنني أن اسدي إليك خدمة كبيرة .. إن هذه الاعمال التي تشغل نفسك بها الآن تتعبنا وتتعبك .. إننا لسنا ناقمين عليك لقتلك "اربول" فقد كان غير ذي شان في العصابة .. ولسنا ناقمين عليك لقتلك "والينو" فقد بدا ينتفخ ويكبر في الأيام الأخيرة وكان في نيتنا ان نتخلص منه لو انك لم تقتله .. ولكنك لاتزال ماضيا في طريقك واخشى ان تمتد يدك إلى قوم نحرص على بقائهم .. لقد وعدنا الجمهور بان نقر الأمن والنظام .. وبصفتي رئيسا لجمعية "تاماني" التي تقوم بالدعاية الانتخابية ارى من واجبي أن اضع حدا لنشاطك .. وهذا مستر "بيلد" يؤيدني فيما اقول

فتكلم النائب العمومي للمرة الأولى في صوت متحشرج فقال :

– بالتاكيد .. يجب ان اضع حدا لنشاطك .. يجب القضاء على هذه

الحركات التي لا داعي لها

واسترسل "اركريد" قائلا : لقد تعهدنا للمرشحين بإقصائك من الميدان وانا رجل احب ان ابر بتعهداتي .. ولكننا رأينا الا نشتد في معاملتك ولذلك قلت لصديقي "بيلد" إن "لوبين" رجل عاقل فلماذا لا نتقدم إليه بعرض معقول ؟ .

وكان الأمر من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى كل هذه البلاغة الفياضة التي عمد إليها رئيس جماعة الدعاية الانتخابية .. كانت هذه الجماعة تعتمد في نصرة مرشيحها على الحملات الإرهابية التي تقوم بها العصابات لمصلحة هؤلاء المرشحين .. فإذا جاء "لوبين" وقضي على هذه العصابات فقد قضى ضمنا على جمعية "تاماني"

وساد الصمت هنيهة ثم استرسل "اركريد" قائلا في لهجة تمثيلية :

- اما هذا العرض فهو ربع مليون دولار .. الا ترى اننا كرماء اسخياء ؟ إننا نعرض عليك ربع مليون دولار لكي تغادر هذه البلاد راجعا إلى "انجلترا" أو اي بلد تشاء فما رأيك ؟

فقال "لوبين" يساله : واية خدمة تبتغون مني لقاء هذا الثمن ؟

فجذب "اركريد" نفسا طويلا من سيجاره الضخم ثم قال :

- إننا لا نبغي منك شيئا .. كل ما ننشد إنما هو إيقافك عند حدك . لا نريد منك ان تتدخل في شؤون هذه المدينة .. ولكنك تعلم مؤكدا الا فائدة هناك على الإطلاق إذا سافرت انت وبقي اذنابك واعوانك ماضين على نفس الخطة .. ولهذا نريد منك ايضا ان ترشدنا إلى رجال عصابتك لنتفق معهم كما اتفقنا معك .. الست ترى معي انها صفقة رابحة ؟

فقال "لوبين" مجيبا : إنها صفقة رابحة لك .. خاسرة لي

فصاح "هيمي فيلدر" : إنه مجنون ! الم اقل لكم إنه مجنون !

فدار "اركريد" على عقبيه وصاح "بفيلدر" قائلا :

- اصمت ايها الغبي وإياك ان تتكلم

ثم تحول ثانية إلى "لوبين" وقال في صوته الهادئ :

- اصغ إلي .. إني لا احاول ان اخدعك .. سننقدك ربع المليون دولار لكي تغادر هذه البلاد .. إني اهيئ لك فرصة ما كنت لتحلم بها فكيف

ترفض هذا العرض ؟

- ارفض لأنك تصر على ان تعرف أسماء رجالي .

.. واي ضير في ان ترشدنا إليهم ؟

- لا مانع لدي بالتاكيد .. إذا كانت لدي عصابة .

- ماذا تقصد ؟

- اقصد انني إنما اشتغل بمفردي .

- بمفردك .. ! هذا كلام لا يقبله العقل !

- ولكن يقبله الواقع .. سل من شئت من رجالك تعلم انهم لم يروني في يوم من الايام إلا وحيدا منفردا .. إنني الرئيس .. والوكيل .. والسكرتير .. والأعضاء .. والبواب ايضا فعصابتي مؤلفة من رجل واحد. وهذا الرجل هو انا.. فليس عليك الإ ان تضع في جيبي ربع المليون دولار وتقف على الميناء لتلوح لي بمنديلك مودعا !

وجعل "اركريد" ينظر إليه هنيهة ثم اقترب من "بيلد وكيلمان" واخذ الثلاثة يتحدثون في صوت منخفض. بينما كان "هيمي فيلدر" يحرك شفتيه حركات خفيفة دون ان يخرج من بينهما صوت مسموع. ولكن كان من الواضح انه يريد ان يردد جملته المعهودة :

- إنه مجنون .. إنه مجنون .

واستعار "لوبين" سيجارة من اقرب الجالسين إليه فاشعلها واخذ يدخن وهو ينقل بصره بين وجوه الرجال المنبثين في الغرفة وفي عينيه مرح وابتهاج كانما ينظر إلى صور هزلية مضحكة .

لم يكن "لوبين" من طراز يخيفه التهديد والوعيد وهو الرجل الذي امضى حياته مستهدفا للأخطار .. وما كان ايضا من الطراز الذي يرضى بان يتخلي عن مهمة اخذها على عاتقه سواء قدموا إليه ربع المليون دولار او ربع المليون رصاصة!

وعلى الرغم من ان الرجال الثلاثة كانوا يتبادلون الراى في صوت منخفض إلا ان "لوبين" كان يسمع الشطر الاكبر من حديثهم .

وقد سمع "اركريد" يقول : وهل من المعقول انه يعمل بمفرده ؟ إن كل هذه الأعمال الجريئة لا يمكن ان تصدر إلا عن عصابة منظمة

فقال النائب العمومي : إنني أعتقد شخصيا انه صادق في هذا

القول .

وقال "كيلمان" : إنه يعتمد على المفاجاة .. يباغت أعداءه على غير انتظار فيظفر بهم .. ولكنني لا اعتقد انه يجمع حوله عصابة ما .

فقال "اركريد" :

- هذا جائز .. ولكن يجب أن نعمل عملا يرضي الشعب .. إذا قدمناه إلى المحاكمة فضحنا واطلق لسانه بما يعرف .. وإذا قتلناه هاج الشعب ضدنا .. ولكن يجب على اي الأحوال ان نتخلص منه. فما العمل ؟

واستمر الحديث برهة بين الرجال الثلاثة و"لوبين" ماض في تدخين سيجارته في غير اهتمام كانما لا يحفل بما يجري حوله .. وكان هذا الحديث يعني شخصا أخر سواه

ولكنه كان يفكر في ذلك الرجل العجوز "فالكروس" الذي استدعاه من "اوروبا" وجعله يعبر المحيطات والبحار لكي ينقذ هذه المدينة الغارقة في الدماء .

إن من المحال ان يشي بهذا الرجل وان ينكر للعصابة انه هو الذي يؤيده ويسنده. كما ان من المحال ان يتخلى عن المهمة التي جاء من اجلها .

في هذه المدينة سبعة ملايين شخص يدفعون إلى القضاة وإلى رجال البوليس مرتبات ضخمة لكي يحموهم من السرقة والقتل .. فاذا بهؤلاء الرجال يستخدمون مناصبهم في تاييد السرقة والقتل !

وليس في هؤلاء السبعة الملايين رجل واحد يجهل هذه الحقائق ولكن ليس فيهم رجل واحد يجرؤ على ان ينادي برايه وان يقول للشرطي المرتشي :إنك مرتش .. او للقاضي الخرب الذمة : إنك خرب الذمة

ولكن "لوبين" سيقول هذه الكلمة الجريئة .. فإذا كانت الشجاعة قد خانت سبعة ملايين رجل فإنها لم تخنه هو .. وإذا كانت المدينة باسرها لم تجد الكلمة التي ينبغي ان تقال فإن "لوبين" قد وجدها

وقطع عليه حبل تصوراته صوت "اركريد" وهو يقول :

- لقد سمعت يا "لوبين" كل ما ينبغي ان يقال .. ليس لحل هذه

المشكلة إلا طريقتان : طريقتك وطريقتنا .. فايهما تختار ؟
- ولكني انكر اني ذكرت لك رائي من قبل !
- الا تنوي أن تعدل عنه ؟
- إن "لوبين" لا يتراجع .
فهز "اركريد" راسه وقال : إنها فرصة افلتت منك .. وستندم عليها !
ونهض واقفا وهو يقول مخاطبا "كيلمان" : افعل إذن ما اتفقنا عليه
ومشى إلى الباب وخلفه النائب العمومي .
ولما انصرف الرجلان قال "كيلمان" تعال هنا يا "لوبين" .
وتكهرب جو الغرفة وارهف الحاضرون اسماعهم واتسعت عيونهم انتظاراً لما يمكن ان تتمخض عنه الحوادث !
وكان صوت "كيلمان" باردا ولكن نبراته تنذر بشر مستطير ولم يكن في نية "لوبين" ان يقف مكتوف اليدين حتى يجهز عليه اعداؤه .
ولكنه في الوقت ذاته لم يكن يدري كيف يكون المخرج من هذا المازق الحرج إذ لا سبيل له وهو بمفرده إلى التغلب على عشرات من الرجال مدججين بالسلاح .
ونظر "كيلمان" في وجهه وقال :
- إنك ولد طيب .. لقد اتعبتنا حقيقة ولكنك كنت ولا تزال ولدا طيبا.. فهل لك في أن تنتظر برهة في الخارج حتى أستدعيك !
ولم يكن احب إلى "لوبين" بالتاكيد من أن يغادر الغرفة. ولكنه لم يغادرها بالطريقة التي ينشدها وإنما انقض عليه رجلان من ابناء العصابة ومضيا به إلى الغرفة المجاورة
وأشار "كيلمان" إلى اثنين من أعوانه بالاقتراب منه واخذ يصدر إليهما تعليماته قائلا : ساعهد إليك يا "ماكس" بهذه المهمة انت و "جو" .. فاديا له التحية العسكرية اللائقة .. ثم عودا لمقابلتي هنا .
وخرج الرجلان من الغرفة وقد امسك كل منهما بمسدسه استعدادا لأداء التحية العسكرية !
والتفت "كيلمان" إلى أعوانه وقال : كان "لوبين" ولدا طيبا!
ثم اخرج من جيبه منديلا مسح به دمعة حزن ترقرقت في عينيه !

* * *

عندما خرج "لوبين" إلى الطريق انعشه النسيم العليل.

وجلس في السيارة بين حارسيه وقد الصق كل منهما فوهة مسدسه بجنب الأسير واصابعهما على الزناد حتى لا يتيحا له فرصة يفلت فيها، فحسبه اقل حركة لينطلق المسدسان يحملان إلى قلبه الموت الأكيد

وبينما كان السائق يدير المحرك أرسل "لوبين" بصره إلى باب الحانة.

وهناك راى "فاي ادوارس" تسد فرجة الباب بقوامها الرشيق

كانت حافة قبعتها مرخية على عينيها فلم يدر "لوبين" إذا كانت تنظر إلى ناحيته ام لا .. وما كان هناك سبب يدعوه إلى الظن بانها تتابعه بنظراتها او انها تشعر بوجوده. ففي خلال الحديث الذي دار بينه وبين "اركريد" كانت جالسة تدخن سيجارتها مستسلمة إلى خواطرها الشخصية غير عابئة بما حولها .. وعندما اصدر "كيلمان" الأمر بإعدامه كانت مهتمة باشعال سيجارة ثانية .. بل إنها لم تكلف نفسها مئونة رفع عينيها .

وكانت يدها ثابتة لا ترتعد .. وعندما دفعه الحارسان إلى خارج الغرفة نظرت إليه نظرة بدا فيها شيء من القلق والانزعاج ولكن هذه النظرة ما لبثت ان تبددت وارتد إلى وجهها جموده المعهود

ولا حظ "ماكس" أن "لوبين" يطيل النظر إلى "فاي" وهي عند باب الحانة فقال له :

- تاملها جيدا .. فبعد قليل لن يكون في وسعك ان تتامل شيئا !

فابتسم "لوبين" وقال : إنها تستحق أن ينظر إليها المرء .. ومن حسن الحظ أن السائق بطيء في عمله .. !

وراى "لوبين" الفتاة تعبر الطريق خلف السيارة في الوقت الذي جذب فيه "جو" الستائر فاسدلها .

وبعد لحظات تحركت السيارة فعبرت بعض شوارع المدينة ثم انعطفت إلى ناحية الغرب .

كان "لوبين" يعرف انه سائر إلى حتفه .. ولكنه ظل مع ذلك رابط الجاش هادئ الاعصاب لا تطرف له عين إذ كان موقنا من أن الاقدار لن

تتخلى عنه في مثل هذه اللحظة الخطيرة التي اخذ فيها على عاتقه اداء رسالة العدالة .. العدالة السليمة التي لاترحم احداً ..

إنه ماتدخل وماقتل ابتغاء نفع خاص وإنما فعل كل هذا لكي ينقذ سبعة ملايين شخص من قبضة وحوش بشرية لاترحم .

وما كانت هذه أول مرة واجه فيها الموت. وما كانت أول مرة الفى نفسه فيها في مازق حرجة شديدة .

ولكنه مع ذلك لم يستطع ان يطرد من ذهنه هذا السؤال :

- اتراه لم يبالغ في الثقة بنفسه والاعتداد بقوته !

وكان في وسعه ان يطلق صرخة استنجاد كلما وقفت بهم السيارة عند مفترق الطرق .. ولكنه لم يكن من الطراز الذي يستنجد إذ ابت عليه كبرياؤه ان يلجا إلى هذه الوسيلة التي لايقرها تاريخه القديم الحافل بجلائل الأعمال. ومع ذلك فهب رجال البوليس خفوا إلى نجدته فهل ينتظر ان يجني من هذه النجدة شيئا ذا قيمة .. ؟ سينقذه الشرطي من حارسيه. ولكنه سيرسل به إلى السجن .. ولن يجد "لوبين" محكمة تقره على طريقته في تنفيذ العدالة . فإذا نجا من رصاص المسدسات فلن ينجو من الكرسي الكهربائي .

وكان "لوبين" يعتقد ان حظه مع العصابة قد يكون خيرا منه مع القضاء .

وكان قد سمع كثيرا عن "النزهات الصغيرة التي ترسل إليها العصابات الأمريكية أعداءها .. ولكنه لم يكن يتوقع أن يساق بمثل هذه السرعة إلى إحدى تلك النزهات. ومهما يكن من امر فسيتحقق الآن بنفسه مما إذا كانت الروايات التي سمعها كاذبة او صادقة. ولما كان المثل القديم يقول ان للمعرفة ثمنها فسيدفع "لوبين" حياته ثمنا لما سيعرف واخرج "ماكس" علبة سجائره من جيبه وقدمها إلى "لوبين" وهو يقول :

- هل لك في سيجارة .. ؟

- شكرا .. إن التدخين مباح فيما ارى للمحكوم عليهم بالإعدام وفي الوقت الذي كان فيه "ماكس" يقدم إليه السيجارة كان "جو" متحفزا لاطلاق النار إذا بدرت من "لوبين" بادرة تدل على انه ينوي ان ينقض

على "ماكس" .

وجذب "لوبين" بضعة انفاس من سيجارته ثم أسند راسه إلى وسادة السيارة وقال متظاهراً بان ليس للسؤال شيء من الأهمية :

– من هذه الفتاة المسماة "فاي" .. ؟

فقال "ماكس" مجيبا :

– ماذا تقصد بهذا السؤال .. ؟ إنها "دمية" بالتاكيد وكان "لوبين" يعرف ان هذا اللقب اي "الدمية" إنما يطلق على الفتاة التي يتخذها زعيم العصابة خليلة له .

إن زعيم العصابة رجل دموي يمضي نهاره وليله غارقا بين الجثث لايفكر إلا في إراقة الدماء .. ولكن إذا ما حانت ساعة اللهو انقلب رجلا آخر لا يفكر إلا في إشباع شهواته والاستمتاع بما في الدنيا من جمال.

ولهذا كانت لكل زعيم عصابة "دمية" يلهو معها ويزهو امامها بالانتصارات التي احرزها في عالم الجريمة .. ! ولكنه لايشرك معه دمية في الخطط التي يضعها أو في الجرائم التي ترتكبها العصابة .

الدمية امراة خصصت للمتعة واللهو لا للحكم والسلطان .. قد تكون رشيقة وقد تكون فتانة الجمال ولكنها لا يمكن أن تكون متوقدة الذكاء

وكان "لوبين" متلهفا إلى مضاعفة معلوماته عن "فاي ادواردس" ولكنه كان يعلم في الوقت ذاته انه لن يظفر بجواب من "ماكس" إذا وجه إليه في صراحة الأسئلة التي تدور في خلده. ولهذا قال في غير اكتراث كانما مقتضيات الحديث هي التي تدعو إلى ذلك :

– الحق انها فتاة جميلة .. ولكني لا اعتقد ان لها ميزة اخرى غير الجمال .. إن النساء من الغباوة والتقلب بحيث لا يليق بالمرء ان يثق بهن فنظر إليه "ماكس" في عطف وشفقة وقال :

– بل انت الغبي .. انها امراة ذكية .. إن في دماغها عقلا لو وزع على عشرة من الرجال لاصبحوا من كبار الأذكياء .

فهز "لوبين" كتفيه في استخفاف وقال : هذا رايك انت .. اما انا فلي راى آخر .. كلما ازداد ذكاء المراة تضاعف خطرها .. قد تبدو المراة عاشقة لك مدلهة في حبك فاذا أصبح اليوم التالي رايتها تتخلى عنك لانها عشقت سواك .

فقال "ماكس" في ازدراء : "فاي ادوارس" تتخلى عن العصابة وتخونها ! حقا لقد صدق "هيمي فيلدر" حين نعتك بالجنون . ! "فاي" تخون العصابة ؟ الا تعلم يا "صاح" انها حلقة الاتصال ؟

فقال "لوبين" وهو لا يزال يتظاهر بقلة الا كتراث : حلقة الاتصال ؟

– نعم .. إنها موضع ثقة "الرفيق الكبير" .. إنها حلقة الاتصال بيننا وبينه .. فإذا اراد ان يصدر إلينا امرأ حملت هي إلينا امره .. وإذا اردنا ان نبعث إلى "الرفيق الكبير" براى لنا تولت هي إبلاغه راينا .. إنها الشخص الوحيد في العصابة الذي يعرف "الرفيق الكبير" .

وكان "لوبين" جامداً في مكانه لا ينم وجهه عن شيء مما يجري في خاطره كان ليس في هذا الحديث الذي يسمعه ما يثير الاهتمام .

لو انه عرف منذ اليوم الأول ان "فاي" هي حلقة الاتصال لكان له شان اخر ولعرف كيف ينتفع بهذه المعلومات في الوصول إلى "الرفيق الكبير" .. اما الآن فاية فائدة لما يعلم وهو مسوق إلى الموت ؟

لقد كان ينشد هذه المعلومات منذ اليوم الأول الذي وطئت فيه قدماه الشاطئ الأمريكي . ولكنها معلومات لايمكن ان يرضى رجل من العصابة بالإفضاء بها وما جاءته الآن إلا عفوا وما انفرجت عنها شفتا "ماكس" إلا وهو يعتقد انه يلقي بها إلى رجل ميت .

وتنهد "لوبين" وقال ونبرات صوته باردة على عهدها :

– مما يؤسف له اني ساموت قبل ان اتعرف إلى "الرفيق الكبير".. كان يسرني ان اعرفه .

فضحك "ماكس" وقال : وهذا الشوق هو الذي قادك إلى هذا المصير

فقال "لوبين" معترفا : إنه فيما ارى رجل عظيم .

ولكن الشيء الذي يدهشني هو انك وزملاءك ترضون بان تتلقوا اوامركم من رجل لم تروه في حياتكم .. اعني ماالذي يجعلكم تتعلقون به ؟

فضرب "ماكس" جبينه براحة يده وهو يقول :

– إن في دماغه عقلا .. إنه رجل يعرف كيف يبتكر العمل .. ولقد كان العمل نادرا عقب اباحة الشراب .

وهز "لوبين" راسه مستفسراً . فاستطرد "ماكس" يقول شارحا هذا

الغموض .

- عندما كانت الكحوليات محرمة كان المهربون من أسعد الناس .. فلما أبيحت لم يعد لنا ما نعمله .. وكان يجب أن نعيش وأن نبحث عن عمل نرتزق منه .. وبدأنا نشعر بالضيق والحرج والفاقة .. وفي تلك الأيام ظهر "الرفيق الكبير" فأنقذنا مما كنا فيه .

- وكيف أنقذكم ؟

- دبر لنا العمل . إنه رجل متوقد الذكاء عظيم الذهن . لايقدم على حركة صغيرة إلا بعد أن يحسب لها حسابا . إنه لا يخطئ . فمن عمل في رعايته أمن الوقوع في أيدي البوليس .

وظلت السيارة ماضية في طريقها . وكانت الرحلة طويلة .

لم يكن "لوبين" يتوقع بالتأكيد أن يستفيد من هذه المعلومات والموت يرفرف بجناحيه فوق رأسه فقد تكون اللحظة التالية هي اللحظة الأخيرة في حياته .

إن المعروف عن العصابات أنها لا تجهز على أحد من أعدائها إلا إذا أحاطته بالمراسيم والتقاليد المعهودة فيوقفونه في مكان ما ويطلقون عليه النار كأنه جندي صدر الأمر بإعدامه .

ولكن من المحتمل وبالتأكيد أن تشذ العصابة في هذه المرة عن تلك المراسيم فيكتفي "ماكس" وصاحبه بإطلاق النار عليه وهو جالس بينهما في السيارة وإلقاء جثته في عرض الطريق .

ومهما يكن من أمر . ومهما يكن من أمله في الحياة أو الموت فقد استرسل "لوبين" في توجيه أسئلته إلى "ماكس" بنفس قلة الاكتراث التي تظاهر بها من أول الأمر حتى يلقي في روع جليسه أنه لا يتعمد استجوابه وأن هذه الأسئلة إنما ترددت على لسانه عرضا .

وقال "لوبين" يسأله : ولكن كيف جاء "الرفيق الكبير" ؟ أعني كيف ظهر للمرة الأولى ! فإذا كنتم لم تروه من قبل ولم تسمعوا عنه فكيف يمكن أن تطمئنوا إليه وكيف يمكن أن تعرفوا أنه قد يكون ذا نفع لكم ؟

فابتسم "ماكس" وقال :

- إنه رجل ذكي . وقد دبر كل شيء .

- ولكن كيف بدأ ؟ كيف تمكن من الاتصال بكم في أول الأمر ؟ كيف

سمعتم به في المرة الأولى . ؟

فابتسم "ماكس" وقال : لا جواب عندي على هذه الاسئلة . فلك ان تخمن الجواب كما تشاء ولديك متسع من الوقت للتفكير .

وفي هذه اللحظة هدات السيارة من سرعتها ففهم "لوبين" ما يرمي إليه "ماكس" وقال : هذا صحيح . إن لدي متسعا من الوقت للتفكير !

الفصل السابع

عندما خففت السيارة من سرعتها ارسل "لوبين" بصره إلى الطريق من خلال النافذة الأمامية فوجد الأشجار قائمة على الجانبين كانهم في شبه غابة . ولم تقف السيارة في ذلك المكان وإنما انعطفت إلى اليمين في حركة حادة وسارت في طريق ضيق تحف به الأشجار المتشابكة الأغصان التي كانت كفيلة بان تحجب ما يجري في داخل هذا الطريق الضيق عمن يكون سائرا في الطريق العام .

واخذت السيارة تثب وثبات متقطعة كلما مرت بجزء غير ممهد من الأرض

وشعر "لوبين" بان المرحلة الأخيرة قد دنت .. واشتد خفقان قلبه وتوترت اعصابه . ولكنه لم يكن خائفا .

وكان الطريق يضيق تدريجيا كلما تقدمت بهم السيارة . وبعد مسير بضع دقائق وقفت دفعة واحدة امام باب يفضي إلى حديقة يحوطها سياج منخفض .

وكان هذا المكان في راي "لوبين" اصلح مكان لارتكاب جريمة القتل . ففي وسعهم أن يطلقوا عليه النار دون أن يترامى دوي الطلقات إلى احد في هذه المنطقة المهجورة . وفي وسعهم ان يتركوا جثته دون أن يجشموا انفسهم مئونة دفنها وهم مطمئنون إلى عدم العثور عليها إلا إذا قادت الصدف أحد الناس يوما إلى هذه الحديقة المهجورة . وقد تقع هذه الصدفة بعد عام أو عامين أو ثلاثة وعندما يكون الناس قد نسوا اسم "ارسين لوبين" واعتقدوا انه اختفى فجاة من تلقاء نفسه كما ظهر فجاة وبهذه الطريقة تتحقق غاية "اركريد" واصحابه فيتخلصون من "لوبين" دون أن يهيجوا الشعب ضدهم .

ونزل "ماكس" من السيارة وهو مصوب مسدسه إلى "لوبين" قائلا :

– تفضل ايها الصديق العزيز .

وخلف "لوبين" نزل "جو" ومسدسه في يده

ولم يكن "لوبين" يفكر في هذا الوقت إلا في الطريقة التي يتوصل بها إلى الفرار .. كانت كل جارحة من جوارحه متنبهة يقظة .. وكانت كل

عضلة من عضلات جسمه متحفزة حذرة .. وما شعر في يوم من الأيام بالحياة تتدفق في عروقه مثلما شعر بها اليوم وهو يواجه الموت . ولو أن إنسانا رآه في هذه اللحظة لا ستحال عليه أن يتصور أن هذه الحياة الدافقة الفياضة .. هذه الحياة الصاخبة العاتية .. ستخمد بعد لحظات قليلة !

ودفع "ماكس" باب الحديقة الذي لم يكن موصدا ودخل يتبعه اسيره وخلفه "جو" .

ولقد خطر "للوبين" أن ينقض على أحد الرجلين محاولاً أن ينتزع منه المسدس. ولكنه لم يكن يجهل خطورة هذه الفعلة إذ سيبادره الثاني بطلقة ترديه قتيلا قبل أن يفرغ من خصمه .

وأدار "لوبين" عينيه في الحديقة الصغيرة وقال : أهذه نهاية المرحلة؟

فقال "ماكس" في اقتضاب : ونهاية الحياة أيضا !

فقال "لوبين" في بساطة : حياة من ؟ أنا أم أنتما ؟

فنظر إليه "ماكس" في دهشة وقال :

– امزح كيف شئت .. فبعد قليل لن تقوى علي المزاح .

وجعل "لوبين" يستعيد إلى ذاكرته مازق قديمة من هذا القبيل .. كم من مرة وقع فيها في أيدي خصومه وأعدائه ثم استطاع أن ينجو فهل كتبت له النجاة في هذه المرة أيضا ؟

لم يكن في نيته أن يسلم نفسه لقمة سائغة لأعدائه .. بل كان ينوي أن يجاهد في سبيل الحياة ... كان ينوي أن يضرب الضربة الأخيرة فإذا أخفقت فلن يخسر شيئا .

وارتسمت على شفتيه ابتسامته القديمة .. ابتسامة التحدي والنضال والاستخفاف بالمخاطر والأهوال والتفت إلي صاحبيه وقال :

– لقد كنت طول حياتي أتلهف إلى معرفة الطريقة التي تتخلص بها العصابات الأمريكية من أعدائها .. ومن حسن حظي أنكما ستشفيان غليلي.. !

فضحك "ماكس" وقال :

– ثق أننا سنشفي غليلك حتى اللحظة الأخيرة من حياتك .

- ولكن ارجوك يا "ماكس" ان تحوطني وانت تقتلني بكل التقاليد والمراسيم المرعية وإلا مت حزينا !

وأوما "ماكس" بمسدسه إلى شجرة قريبة وهو يقول :

- قف عند هذه الشجرة .. إنها أصلح الأمكنة .

وقد نطق "ماكس" بهذه الجملة بنفس البساطة التي كان جديرا بان ينطق بها لو انه كان في نيته ان يلتقط صورة "لأرسين لوبين"

تفرس فيه "لوبين" هنيهة ثم مشى إلى الشجرة المقصودة إذ لم يكن في وسعه إلا الخضوع .. فما يستطيع المرء أن يعصى امرا لمسدسين مصوبين إلى صدره .

ووقف "ماكس" في وسط الحديقة واشارإلى مساعده "جو" قائلا :

- فتشه

ودنا "جو" من "لوبين" وهو يقول :

- لابد من التفتيش لان لبعض الناس ولعا بلبس دروع من الصلب تحت ثيابهم الداخلية .

واخذ "جو" يفك ازرار "لوبين" ويعري صدره .

ورفع "لوبين" يديه متظاهرا بمساعدته في فك الأزرار ... ولكن يده اليمنى استقرت على فك "جو" في لكمة عنيفة لو انها اصابت ثورا لصرعته ... وفي نفس الوقت قبض بيسراه على يد "جو" الممسكة بالمسدس وأزاحها بعيدا عن جسمه حتى لا يصيبه الطلق الناري إذا ما ضغط "جو" على الزناد دفاعا عن نفسه . وفعلا طاشت الرصاصة عن هدفها واستقرت في إحدى الأشجار !

وفي اللحظة التالية كان "لوبين" قد القى بذراعيه حول عنق "جو" يضغطه بشدة وقد اجتذبه إليه وضمه إلى صدره ليتخذ من بدنه درعا حيا يحميه من رصاصات "ماكس" .

وقد فوجئ "ماكس" بهذا الحادث غير المنتظر فرفع مسدسه ليطلق النار على "لوبين" ولكنه ادرك ان رصاصاته وهو في هذا الموقف لن تصيب إلا زميله "جو". فوثب بضع خطوات منتقلا إلى ركن آخر من الحديقة حتى إذا رأى الهدف مكشوفا رفع مسدسه وضغط الزناد

وقبل ان تنطلق الرصاصة كان "لوبين" قد احتمى بالدرع البشري .

وراه "لوبين" وهو يضغط الزناد فانحرف قليلا ليتفادى الرصاصة المسددة إليه .. ولكنه اخطا الحساب فشعر بالم حاد يصيبه في كتفه وعرف ان رصاصة "ماكس" قد استقرت في بدنه .

وضغط "ماكس" الزناد للمرة الثانية ولكن "لوبين" كان على تمام الأهبة في هذه المرة فلم تصبه الرصاصة وإنما اصابت درعه البشري.!

وتراخت يدا "جو" وافلتت اصابعه المسدس فسقط على الأرض .

ولم يكن في وسع "لوبين" ان ينحني ليلتقطه .. وإلا كشف نفسه وعرض راسه وجنبه لمسدس "ماكس" .

وصاح "ماكس" قائلا : الويل لك ! إنك لن تنجو من يدنا !

ثم رفع عقيرته ينادي سائق السيارة قائلا :

- هانك . ! تعال ايها المجنون .. اين انت ؟

وذكر "لوبين" السائق الذي كان واقفا في الخارج عند باب الحديقة مهتما بتنظيف سيارته وعرف ان أمله في النجاة قد ضعف .. فقد يكون من السهل ان يقاوم عدوا واحدا محتميا بجثة "جو" .. أما أن يقاوم عدوين يتلقاه هذا من اليمين وذاك من اليسار فامر يقرب من حدة الاستحالة .. !

ولكن السائق لم يجب النداء فصرخ "ماكس" ثانية قائلا :

- هانك .. ! اين انت .. ؟ !

وفي تلك اللحظة فتح باب الحديقة وظهر عند عتبته شبح يمشي في خطوات رشيقة . وتكلم الشبح قائلا :

- "الرفيق الكبير" يامرك يا "ماكس" بان تنتظر .. !!

* * *

لم يكد "ماكس" يسمع هذه الجملة حتى اتسعت حدقتاه دهشة وتراخى فكه ذهولا .. ! ولكن الشيء الوحيد الذي لبث ثابتا في مكانه إنما هو ذلك المسدس المصوب إلى ناحية "لوبين" .

وصاح "ماكس" يقول دون ان يلتفت خلفه : ماهذا .. !

فاجابته "فاي ادواردس" : إنه امر "الرفيق الكبير" .

اما "لوبين" فقد شعر وهو يستمع إلى هذه الكلمات بانه خرج من الموت إلى الحياة . وتضاعف أمله في النجاة إذ كان تدخل الفتاة في

هذه اللحظة كفيلا بان يهيئ له من الوقت فسحة يلتمس فيها مخرجا
وقال "ماكس" يسالها في صوت بارد : ولكن كيف جئت .. ؟
فاجابته في صوت اشد برودا :
- جئت ماشية .. الم تسمع ما قلت لك .. ؟ إن "الرفيق الكبير" يامرك بان تتركه .
فقال "ماكس" في لهجة تدل على الاستغراب : ولكنه قتل "جو" . !
- فليكن .. إن امر "الرفيق الكبير" يجب ان ينفذ .
ونطقت الفتاة بهذه الجملة في نبرة تنم على انها لاتعبا سواء قتل "جو" او حشرات مثله .
وكان "لوبين" يعرف أن مسدس "جو" لايزال على الأرض على قيد خطوتين منه ولكن كيف السبيل اليه وهو لو تقدم خطوة واحدة وانحنى لالتقاطه للفت إليه الأنظار ولكشف من جسمه هدفا لمسدس "ماكس" .
ولكنه كان في حاجة إلى هذا المسدس وكان لابد له أن يحتال على الوصول إليه فاخذ يتزحزح من مكانه تدريجيا .. بوصة بعد بوصة في حركة غير ملحوظة مقتربا من الموضع الذي كان المسدس يلتمع فيه مغتنما فرصة انهماك "ماكس" في التحدث إلى الفتاة .
ولما ملك "ماكس" روعه وزالت عنه دهشة المفاجاة قال يسال الفتاة في خشونة:
- وما الذي يريد "الرفيق الكبير" أن نفعله به .. ؟ هل يريد ان نقبله ؟
- "الرفيق الكبير" يامرك بان تتركه .
ولم تكن المسافة التي تفصل "لوبين" عن المسدس إذ ذاك لتزيد على ست بوصات فحرك قدمه حتى لمست المسدس ليتاكد من ان بصره لم يخدعه ثم تهيا للحركة النهائية : فليس عليه الآن إلا ان يترك جثة "جو" وفي الوقت نفسه ينحني على الأرض ويختطف المسدس في اللحظة التي يرى فيها ان "ماكس" حول بصره عنه .
وقال "ماكس" في نبرة فياضة بالغضب :
- كيف اتركه وقد قتل زملاءنا واصدقاءنا .. كلا يا "فاي" .. قولي "للرفيق الكبير" إنك وصلت بعد فوات الوقت .. قولي له إنك وصلت

فوجدت اننا اجهزنا عليه .. محال ان اخلي سبيل هذا الشيطان المجنون . !

ورفع "ماكس" مسدسه متهيئا لإطلاق النار على "ارسين لوبين" فصاحت به الفتاة : لا تكن مجنونا !

وتعلقت بذراعه وجذبت يده إلى الأسفل .

وكانت هذه هي الفرصة التي ينشدها "لوبين" فانحنى على الأرض في سرعة البرق واختطف مسدس "جو" واعتدل واقفا وهو يقول :

- ما وصيتك الأخيرة يا "ماكس" .. ؟

لقد اقسم "لوبين" ان ينفذ القانون وأن يجرد قلبه من الرحمة .

وضغط الزناد بإصبعه فصرخ "ماكس" ثم ترنح وسقط على الأرض جثة هامدة دون ان يتمكن من إطلاق رصاصة واحدة من مسدسه لأن الفتاة كانت لاتزال متعلقة بذراعه على الرغم من محاولته التملص منها .

ونظر "لوبين" إلى الجثتين المطروحتين على الأرض وخالجه شعور بالندم فما كان في نيته ان يقتل احدا من هؤلاء الزعانف وهو لا ينشد إلا الرؤوس الكبيرة اما الفتاة فكانت جامدة في مكانها تتامل الجثتين دون ان تتراءى في ملامحها ذرة واحدة من الندم او الخوف .

وذكره موقفها بتلك الليلة التي قتل فيها "موري واليدو" . بل ذكره بما كان منها منذ ساعة او ساعتين حين صدر الأمر بإعدامه .

إنها هي دائما بعينها لا تتغير ولا تتحول .. نفس الجمود ونفس قلة الاكتراث .. كانها قطعة من الصخرة وكان لها قلبا لا يشعر ولا يحس .

واقترب منها "لوبين" ونظر في عينيها .. ولكن عينيها كانتا جامدتين لا توحيان بشيء . !

ولم تتكلم الفتاة ولم يكن "لوبين" ليدري ماينبغي ان يصنع إذ كان الموقف غريبا شاذا .

واحنى راسه في إيماءة خفيفة وهمس قائلا : شكرا لك .

وكانت عيناها جامدتين صامتتين .. !

وتكلمت الفتاة قائلة : اهذا كل شيء .. ؟

وحين سمع صوتها الموسيقي سرت في بدنه تلك النشوة الجارفة التي ما سمع صوتها إلا تدفقت في أوصاله .

وحرك "لوبين" يديه بشكل يدل على الارتباك وقال :

- هذه هي المرة الثانية التي تنقذين فيها حياتي .. ولست ادري السبب فهل هناك شيء تريدينه ؟

فقاطعته الفتاة بقولها : نعم هناك هذا ..

وعلى حين فجاة وقبل ان يدري "لوبين" بما صنعت الفتاة كانت قد القت بذراعيها حول عنقه والصقت وجنتها بوجنته وتركت جسمها اللدن يتماوج على صدره . ! وفاح من شعرها عبير مسكر طغى على حواسه وضاعف النشوة التي تدفقت في عروقه حتى لقد خيل إليه انه في حلم لا في يقظة . ووجدت الفتاة شفتيه وقبلته .

وحملق "لوبين" في وجهها دهشا وتمتم قائلا : إني آسف .

فتباعدت عنه الفتاة وتراجعت خطوة إلى الوراء ثم امسكت بذراعيه في رفق وهي تقول : دعني ارى جرحك ونزعت عنه جاكتته وضمدت الجرح الذي في كتفه بمنديلها ومنديله .

ثم قالت له : هيا بنا إلى السيارة .

فقال يسالها : ولكن أين السائق ؟

فكان جوابها لقد قتلته !

وحين خرج "لوبين" من باب الحديقة وجد السائق جثة هامدة عند سيارته وبين كتفيه خنجر غارق بين اضلاعه حتى المقبض فعرف السر في ان "هانك" لم يجب حين صاح "ماكس" يناديه .

ولم ينظر "لوبين" إلى وجه الفتاة إذ كان موقنا من ان وجهها يكتسي نفس القناع الصخري الذي يهزا بالحياة وبالموت على السواء . ذلك القناع الذي لم يرتفع عن وجهها إلا في تلك اللحظة الخاطفة التي طوقته فيها بذراعيها .

وتولت "فاي" قيادة السيارة وهي تقول :

- سأذهب بك إلى طبيب اعرفه في حي "باساك" .

- شكرا لك. ولما خرجا إلى الطريق العام لم ير "لوبين" السيارة التي كان يتوقع أن تكون الفتاة قد جاءت فيها فقال يسالها :

- ولكن كيف جئت ؟

- اختبأت في الحقيبة الخلفية عندما كانت السيارة واقفة بباب الحانة .

وكانت الرصاصة التي أصابت "لوبين" في كتفه قد جعلت قدرا كبيرا من الدماء ينزف من جرحه فظل طول الطريق صامتا لا يتكلم وقد أدركه الإعياء .

ولما بلغا عيادة الطبيب قال لها "لوبين" : يحسن بك أن تنتظريني في السيارة حتى أرجع إليك وإلا وشى بك الطبيب إلى زملائك إذا كان ذا صلة بالعصابة .

- كلا .. إنه ليس متصلا بالعصابة .

وكان الطبيب خبيرا بمهنته وخبيرا بالمرضى الذين يعالجهم !

فما وجه إلى "لوبين" سؤالا واحدا عن السبب في إصابته وما سأله عن اسمه وما قال إن واجبه يقضي عليه بأن يخطر البوليس !

ولما فرغ الطبيب من تضميد جرح المصاب وأخرج الرصاصة التي كانت مستقرة في كتفه قال : ألف دولار من فضلك !

وكانت القيمة كبيرة كأجر لعملية جراحية من هذا النوع ولكنها كانت مناسبة كأجر للكتمان وعدم الفضول وبحث "لوبين" في جيوبه فتذكر أنه لا يحمل مالا إذ جردته العصابة من محفظته فقال :

- إني لا أحمل مالا. فهل ترجئني إلى الغد ؟

- بلا شك .. إلى الغد ولكن أرجوك أن ترسل إلي المبلغ أوراقا مالية صغيرة .

وشيع "لوبين" والفتاة إلى الباب .

وجلست الفتاة إلى عجلة القيادة وقالت تسأل "لوبين" :

- إلى أين أذهب بك .. ؟

- إلى "نيويورك". وكان تضميد الجرح قد أفاده وردت إليه جرعة الدواء التي قدمها إليه الطبيب بعض قوته التي فقدها فأردف قائلا :

- نعم .. يجب أن نعود إلى "نيويورك" فإن مهمة الليلة لم تنته بعد

- ولكني أراك في حالة لا تصلح معها للعمل الليلة .

فهز رأسه في إصرار وقال : إني أكره الراحة وحدجته الفتاة بنظرة

فاحصة وقالت : ماالذي جاء بك إلى هذه البلاد ؟

فاخرج "لوبين" بطاقة صغيرة من جيبه وضعها تحت نظر الفتاة . وهو يقول : جئت إلى هذه البلاد لأقتل ستة رجال .. وقد قتلت ثلاثة منهم حتى الآن "جاك "اربول" و"موري والينو" و"ايدى فولسانج" .. فلم يبق إلا ثلاثة .

فقالت الفتاة وهي تنظر في البطاقة :

- بل لم يبق إلا اثنان لأن "جانسون" هو نفسه "هانك" سائق السيارة إنه يدعى "هانك جانسون" .. ويظهر أن الدور الآن على "داتش كيلمان" فحدجها "لوبين" بنظرة فاحصة وهو يقول :

- إن "كيلمان" صديق لك فهل تنوين أن تشي بي ؟

فهزت راسها وقالت : ليس لي اصدقاء .. سأذهب بك إليه الآن .. فإذا رأيته خارجا من الحانة فتقدم إليه فابتسم "لوبين" وقال :

- وساؤدي التحية العسكرية اللائقة بمقامه العظيم !

وكان "لوبين" يعتقد في إخلاصها وفي انها ستمهد له السبيل لأن ينال "كيلمان" إذ ليس معقولا أن يكون في نيتها استدراجه إلى فخ ينصب له وقد كان في وسعها ان تترك "ماكس" يقتله إذ مامعنى أن تنقذه منذ لحظات لتقوده إلى حتفه في اللحظة التالية ؟

وفي اللحظة التي كانت فيها "فاي" منطلقة بالسيارة إلى حانة "شارلي" كان "داتش كيلمان" يقول لأعوانه :

- حسبي ما انتظرت . فإذا جاء "جو" و"ماكس" فارسلوهما إلي في داري .

ونهض "كيلمان" واقفا فنهض في اثره الحارسان اللذان يتوليان حمايته والدفاع عنه ضد اعتداء العصابات المنافسة .

ولبث "كيلمان" في داخل الحانة على مقربة من الباب على حين خرج الحارسان إلى الطريق ينظران يمنة ويسرة ليتاكدا من "نظافة" الطريق.

وقال احد الحارسين يخاطب مولاه : الطريق "نظيف " فتفضل .

وخرج "داتش كيلمان" إلى الافريز وهم بالصعود إلى سيارته .

وفي تلك اللحظة لاحت سيارة تقترب من المكان . فلما نظر إليها "كيلمان" قال يخاطب الحارسين :
- هاهي ذي سيارة "ماكس" و "جو" .. لقد جاءا في الوقت المناسب
ولبث واقفا على الافريز ينتظر دنو السيارة .
ولما صارت على قيد خطوة واحدة منه راى في نافذتها شبحا .
وكان الوقت أضيق من أن يتسع للتقهقر والفرار !
لقد راى في النافذة شبح الرجل الذي أرسله إلى حتفه منذ ثلاث ساعات .. كان وجهه شاحبا ممتقعا ولكن عينيه كانتا ترسلان وميضا مخيفا !
ودوى في سكون الليل طلق ناري .. وقبل ان يبلغ "داتش كيلمان" الارض كانت السيارة قد ابتعدت وهي تنهب الأرض صوب الشرق !

* * *

بينما كان رجال البوليس يغدون ويروحون حول حانة "شارلى" في حيرة وارتباك لا يدرون مايصنعون - كانت "فاي ادوارس" قد امعنت في الابتعاد حتى إذا بلغت حديقة "سنترال بارك" اوقفت سيارتها هناك.
ونكر "لوبين" فجاة ليلة جاء فيها إلى نفس المكان ولكن في سيارة أخرى يقودها المفتش "فرساك" .
لم تمض على هذا اللقاء ست وثلاثون ساعة ومع ذلك فقد وقعت في خلالها حوادث جسيمة . وراح "لوبين" يسائل نفسه عما يجول في خاطر "فرساك" في تلك اللحظة وهو يرى هذا البركان الثائر الذي يجتاح العالم السفلي .. هذه العاصفة العاتية التي اخذت تكتسح الأرض فلا تبقي ولا تذر .
من المحتمل ان يكون "فرساك" في هذه اللحظة منطلقا في أرجاء المدينة منقبا في أركانها بحثا عن "لوبين" ليرضي باقتناصه أولئك السياسين الذين يقبضون على زمام الحكم في البلاد والذين يرون في

بقائه حيا خطرا جسيما على مقاعدهم في المجالس النيابية .. فلو انه قدر لهما أن يلتقيا مرة أخرى لما كان حديثهما كسابقه وبيا مشربا بروح العطف .

واشعلت "فاي ادواردس" سيجارتها .. ورأى "لوبين" وجهها على ومضة الكبريت كالعهد به هادئا جامدا كانه وجه تمثال من الشمع . ولم يكن في عينيها خوف او اضطراب فقال في نفسه .

- ليت شعري أيمكن أن تكون هذه الفتاة قد قتلت رجلا منذ ساعة وعاونتني على قتل رجل آخر .. ؟

والتفتت إليه "فاي" وقالت : إن اسمي مدرج في قائمتك فهل تراني ارتكبت إثما .. ؟ لاشك انك تروم مني امرا . فما الذى تبغيه .. ؟ هانذا امامك .

فابتسم "لوبين" وقال :

- إني ماكتبت اسمك إلا فضولا مني .. إنك عندي بمثابة لغز غامض .. كنت أسترق السمع وانت تتحدثين تليفونيا مع القاضي "ناتير" فكانت هذه اول مرة سمعت فيها صوتك .. وكنت ارقبك واتامل وجهك وانت جالسة مع "موري والينو".. ولقد أعطيتني المسدس الذي استعنت به على الفرار من مقر العصابة.. فاردت أن اعرف من انت وماذا كنت .. ماضيك وحاضرك . ما الذي دعاك إلى الاندماج في العصابة ؟ إني رجل فضولي كما ترين .

فهزت كتفيها وقالت : والآن قد عرفت الجواب بدون شك .. ؟

- اتعتقدين ذلك .. ؟

وما انفرجت شفتا "لوبين" عن هذه الجملة حتى أدركه الندم وعرف أن لسانه قد هفا . إذ تحولت إليه الفتاة ونظرت في عينيه فاسرع يقول :

- عندما ذكرت "لماكس" ان "الرفيق الكبير" يامره بان يطلق سراحي .. لم يكن هذا صحيحا .

- وما الذي جعلك تظن هذا .. ؟

- مجرد تخمين .. ولكنني موقن مما اقول .

ونفثت الفتاة من فمها سحابة كثيفة من الدخان وقالت :

- نعم .. لم يكن صحيحا ان "الرفيق الكبير" مدرج في قائمتك فهل تريد ان تظفر به أيضا .. ؟

- بل اكثر من سواه .

- إنك عنيد قوي الإرادة .

- إني اريد ان اكتب الفصل الختامي في هذه الرواية .. .

وساد الصمت هنيهة ومضت الفتاة تدخن وهي غارقة في خواطرها و"لوبين" يرقبها ويتفرس في وجهها وهو يسائل نفسه عما يدعوها إلى الاندماج في هذه البيئات الغارقة في الجثث والدماء .. وأولى بمن كانت على مثل جمالها ان تكون الآن في مخدعها تتجمل وتتزين وتصغي إلى مناجاة العشاق .. ولكنها فيما يلوح من طراز يفهم الموت اكثر مما يفهم الحب .. !

وتكلمت الفتاة قائلة :

- اظن ان في وسعي ان أرشدك إلى "الرفيق الكبير" .

وكان صوتها هادئا يدل على قلة الاكتراث كانما تتحدث عن شيء غير ذي بال .

وقال "لوبين" يسالها : ولكنك تعرفينه .. اليس كذلك ؟

- إني الشخص الوحيد الذي يعرفه .. ؟

- إنه لغز عظيم اليس كذلك .. ؟

كم مضى على معرفتك له ؟

- قابلته منذ ثلاث سنوات قبل ان يصبح "الرفيق الكبير" بل قبل أن يسمع به إنسان . لقد انتشلني من وهدة الحياة وانقذني مما كنت أكابد من الفقر والفاقة.. لقد حدثني بفكرته فراقت لي إذ كانت فكرة سديدة مدهشة واستطعت ان امد إليه يد المعونة بان جمعت حوله افراد العصابة ولكنهم لم يتصلوا به مباشرة وإنما عن طريقي.. وهكذا كنت حلقة الاتصال بينه وبينهم حتى الليلة .

– اتقصدين انك اعتزلت العمل ؟

– كلا .. كل ما هنالك اني غيرت رايي .

وساد الصمت هنيهة ثم قال "لوبين" لاشك انه رجل عظيم !

– إنه عظيم .. عندما بدأ العمل كنت اعتقد انه لن يستمر اكثر من اسبوع واحد على الرغم من سداد فكرته فإن الفكرة السليمة ليست هي كل شيء في مهنتنا هذه .. لابد للزعيم من ان يكون ذا شخصية جارفة قوية .. و"الرفيق الكبير" مجرد من الشخصية .. ولاشك انه يعرف ذلك عن نفسه . ولعل هذا هو مادعاه إلى الاختفاء والتستر مكتفيا بمخاطبة عصابته عن طريقي .. بل إنه لم يفكر يوما في ان يخاطب العصابة بنفسه تليفونيا .. إنه جبار في احلامه ضئيل منكمش في الحياة . لو انهم راوه لاحتقروه وازدروه فكانت حكمة منه انه اختفى جاعلاً مني حلقة للاتصال متخذا لنفسه لقب "الرفيق الكبير" .

وعاد "لوبين" يسالها بقوله :

– الم يحاول احد من رجال العصابة ان يكتشف شخصيته ؟

– لقد تعددت المحاولات التي من هذا القبيل ولكنها باءت كلها بالخسران . لقد اقدم "موري واليِنو" على هذه المحاولة .. وكذلك فعل "كيلمان" . وماتركا حيلة إلا عمدا إليها .. ولكنهما لم يظفرا بشيء .. وله في دفع اجور افراد العصابة طريقة ملتوية لاتمكن احدا من معرفته ..

وعل الرغم من ان جزءا كبيرا من اموال الفدية او الإتاوات المختلفة التي تدفع لأعوانه – على الرغم من انها اوراق مالية كبيرة يمكن تتبعها إلا انه ظل مع عصابته بعيدا عن الريب والشبهات .. نعم إنه ذكي حريص .

ولم يكن هناك ما يدعو إلى الغرابة فيما ذكرته الفتاة فقد يكون الرجل جبارا إذا خلا بنفسه .. ضعيفا إذا ما واجه الجماهير .. و"الرفيق الكبير" من هذا الطراز .. يستطيع أن يدير ويحرك العصابة .. ولكن من وراء ستار .. إنه رجل لاشخصية له .

ولكن السؤال الذي كان لا يزال يتردد في ذهنه والذي ابى "ماكس" ان يجيب عليه هو هذا : كيف بدأ "الرفيق الكبير" عمله ؟

فابتسمت الفتاة وقالت : بمائة الف دولار .. كان هذا هو راس ماله لقد اوفدني إلى "موري والينو" لأنبئه بانه - اي "الرفيق الكبير" - يريد ان يختطف رجلا معينا لقاء خمسين الف دولار . واغتبط "والينو" بهذا الأجر الضخم لأن العصابة ما كانت لترفض القيام بهذا العمل لو انها نقدت عشرة الف دولار .. وزود "الرفيق الكبير" "والينو" بالمعلومات التي لابد منها ليتم الاختطاف دون ان تتعرض العصابة لأي خطر .. وكانت هذه المعلومات من الدقة والإحكام بحيث تم اختطاف الرجل في الساعة المحددة دون ان يستهدف احد لأي نوع من انواع الخطر .. واضطر الرجل ان يفتدي نفسه بمبلغ دفعه إلى "والينو" .. ولكن "والينو" كان يعرف ان نجاح هذه الخطة إنما استند إلى المعلومات التي زودهم بها "الرفيق الكبير" .. وكذلك اتصل "الرفيق الكبير" عن طريقي بـ "داتش كيلمان" وعهد إليه باختطاف رجل آخر لقاء نفس الأجر .. وتم هذا الحادث ايضا بنفس النجاح الذي تم به سابقه فلم يكن اسهل إذ ذاك من ان يجمع "الرفيق الكبير" تحت ظله "والينو" وعصابته و"كيلمان" وعصابته فالف من بينهما عصابة واحدة تاتمر بامره وتنفذ ما يشير به دون تردد ودون ان يفكر احد منهم في الانفراد بنفسه وهم يعلمون ان نجاحهم متوقف على المعلومات الدقيقة التي يزودهم بها "الرفيق الكبير" .. ومن هذا ترى كيف استهل حياته .. ورجال العصابات كما تعلم قد يكونون مفطورين على الجراة ولكنهم ليسوا مفطورين على الذكاء .. قد يستطيع الواحد منهم ان ينطلق في الطريق ومسدسه في يده يقذف بالنيران يمنة ويسرة دون ان يهاب شيئا .. ولكنه لا يستطيع لحظة واحدة ان يفكر او ان يضع خطة سديدة .. فكانت مهمة رجال العصابات ان يطلقوا النار اما مهمة "الرفيق الكبير" فكانت ان ينبئهم بالساعة التي يطلقون فيها النار والمكان الذي تطلق فيه .

وهكذا عرف "لوبين" جواب السؤال الذي ينشده .. عرف السر الذي جعل رجال العصابات يخضعون "للرفيق الكبير" ولا يفكرون في الغدر به .

وقال "لوبين" يسألها : وعلى هذا المنوال استمر العمل ؟

– نعم .. ولكن مع فرق بسيط .. لو ان "الرفيق الكبير" استمر يستاجر "والينو" و"كيلمان" وعصابتيهما للقيام باعمال فردية من هذا القبيل لقاء اجر معين لارتفع هذا الأجر تدريجيا إلى درجة يستحيل معها مواصلة العمل .. فرأى ان يعدل عن خطة الاستئجار إلى خطة اخرى قائمة على اساس اقتصادي .. لماذا لا يجعلهم شركاء له .. ؟ وهذا هو ما حدث فعلا .. لقد اتفق مع زعماء العصابة على ان ينقدهم مرتبا شهريا ثابتا للإنفاق منه وسد الحاجات الضرورية . اما ما بقي من مبالغ الفدية فيودع بنكا معينا حتى إذا انقضت ثلاث سنوات وزع الرصيد بالتساوي بين الزعماء .. لقد كان عددهم سبعة قبل حضورك .. اما الآن فلم يبق منهم إلا اثنان .. وهذا معناه ان "الرفيق الكبير" وصاحبه " كيرلي ايبولينو " سيقتسمان الرصيد معا على قدم المساواة فموت هؤلاء الزعماء كان نعمة كبيرة على "الرفيق الكبير" وصاحبه اللذين لا يزالان على قيد الحياة لأنهما سيصبحان الوريثين الوحيدين للفديات المتراكمة التي بلغت عشرين مليونا من الدولارات .

فابتسم "لوبين" وقال : هذا إذا بقيا على قيد الحياة ... ولكن اين "كيرلي ايبولينو" . ؟ فاني لم أعثر عليه بعد ؟

– لقد سمعت إنه في "بتسبرج" ولست ادري الحقيقة .

وابتسم "لوبين" وقال في نفسه :

– يا لسخرية الاقدار ... ! لقد جئت هذه البلاد لأقضي على "الرفيق الكبير" فاذا بي اخدمه عن غير قصد بتخليصه من شركائه في الميراث . ليت شعري هل خطر ببال "فالكروس" وهو يستنجد بي اني ساخدم بعملي غرضين متناقضين : العدالة .. والجريمة .. !

والتفتت "فاي ادواردس" إلى "لوبين" وقالت :

اتريد ان تعرف شيئا آخر ؟

– بل اشياء كثيرة .. يمكنك ان تقولي لي من هو "الرفيق الكبير"

فهزت راسها وقالت : لايمكنني .

– ولكنك قلت إنك سترشدينني إليه .

- بل قلت إني " اظن " ان في وسعي ان ارشدك إليه .. إني لا ازال مترددة .. لقد وعدته بان اكتم اسمه عن كل إنسان .

واشعل "لوبين" سيجارة جذب منها بضعة انفاس ثم قال :

- لنفرض اني قابلتك صدفة وانت مع "الرفيق الكبير" فاستنتجت ان هذا هو صاحبي المنشود دون ان ترشديني انت إلى ذلك فهل يثور عليك ضميرك ؟

- كلا بالتاكيد .. لقد وعدته بالا اشي باسمه وهذا كل ما هنالك .

- شكرا لك .. إني راض إذن بان ترشديني إلى مكان يتردد عليه "الرفيق الكبير" .. وليكن في هذا المكان مائة شخص او الف فإني لن اعجز عن تمييزه من بينهم .

فاحنت راسها وقالت : سافعل .

ثم القت بسيجارتها من نافذة السيارة وقالت في صوت هادئ ثابت:

- لقد سمعت عنك بمجرد وصولك .. وكنت اتمنى ان اراك فلما رايتك لم اعد اعبا بشيء في الدنيا ..اصبحت انت في عيني الدنيا باسرها .. لقد انتظرتك طول حياتي فهل اتخلى عنك او اتردد في امر يتصل بك .. لقد كانت حياتي جدباء اما الآن .

وكان "لوبين" في حيرة من امره وهو يصغي إلى هذه الكلمات ! لم يكن في إمكانه ان يلقي بذراعيه حول عنقها ويجتذبها إلى صدره وهناك في انجلترا فتاة اخرى تنتظر عودته بفروغ صبر .. ولم يكن في إمكانه ايضا ان يقول لها إنه ليس خلي القلب .

ولكنها لم تكن تنتظر منه جوابا .. كانت كانما تخاطب نفسها بهذه الكلمات فما انفرجت عنها شفتاها حتى انطلقت ثانية بالسيارة وهي تقول مغيرة مجرى الحديث :

- إن "الرفيق الكبير" معجب بك اشد الإعجاب . ولشد ما كان يتمنى ان يضمك إلى رجاله .. ولكنه كان يعلم ان العصابة ناقمة عليك لفتكك ببعض زعمائها فاوصاني بان اترفق بك إذا وقعت في ايديهم وان احاول ان احميك وانقذك من نقمتهم .. لقد كان يعتقد ان سيجيء يوم يتمكن فيه من ان يضمك إليه . واوقفت السيارة في شارع "كسنجتون" وهي تقول : اين نلتقي ؟

- ومتى يكون هذا اللقاء .. ؟

- إني اعتقد اني ساتيك ببعض الأنباء بعد ساعتين او ثلاث ففكر

"لوبين" هنيهة ثم قال : اتعرفين مطعم "كريس بلليني" في الشارع رقم ٤٥ .. ؟ قد لا اكون موجودا هناك ولكن في وسعك أن تتركي لي مع صاحب المطعم اي رسالة تشائين .. إنه رجل مامون الجانب .

فوضعت يدها في رفق على كتفه وهي تقول : إلى اللقاء إذن .

ورفعت وجهها إليه .. وفاح في شعرها العطر المسكر .. وسرت في اوصاله نشوة ثملة . ومال فوقها "لوبين" وقبلها .. !

وهمست الفتاة تقول في صوت رقيق : إلى اللقاء .

ومشى "لوبين" إلى الفندق وهو غارق في خواطره .

كان يفكر في هذه الفتاة الغامضة التي تخلت عن ماضيها واولت ظهرها "للرفيق الكبير" خضوعا لنداء الحب !

ثم عاد يذكر "الرفيق الكبير" . ذلك اللغز الخفي الذي يتستر بالظلام دون أن يدري أحد من امره شيئا . ولكن "لوبين" سيكشف شخصيته في تلك الليلة .. فبعد ساعتين او ثلاث ستحمل إليه أسلاك التليفون الرسالة التي يتلهف إليها وعندها تضع الحرب اوزارها .

وبينما كان المصعد يشق طريقه إلى الطابق الأخير من فندق "استوريا" كان "لوبين" لايزال غارقا في هذه الخواطر .

وحين فتح باب المسكن راى الانوار مضاءة في جميع الغرف ولكنه لم يسمع صوت "فالكروس" يحييه كالمعتاد فقال في نفسه :

– لا ريب انه اقام في انتظاري طويلا فغلبه النوم وهو في مقعده .

ودفع باب قاعة الاستقبال ودخل . وكانت مضاءة ايضا شان بقية الغرف .

وشعر بحركة في ركن القاعة فظن ان "فالكروس" شعر بقدومه فنهض لاستقباله ولكنه حين التفت راى ان "فالكروس" لم يكن احد الرجلين اللذين هبا لاستقباله .. !

ورفع "لوبين" يده على عجل ليطفئ نور القاعة فشعر في الحال بوخزة اليمة في ذراعه .. ولاول مرة منذ ثلاث ساعات – ذكر الرصاصة التي أصابت كتفه..! لقد جعلت عضلاته متصلبة عاجزة عن سرعة الحركة . فقبل ان تبلغ يده الزر الكهربائى كان هناك مسدس قد صوب إليه . وسمع صوتا يقول : إياك أن تتحرك .. وإلا فالويل ..!

الفصل الثامن

التفت "لوبين" إلى الرجلين وقال : يا للمفاجاة السعيدة .. ! إني أحب دائما ان أستقبل أصدقائي على غير انتظار .. !

ولقد نطق بهذه الجملة في بساطة وقلة اكتراث ولكن ادهشه تهدج صوته والقى نظرة على المقعد الكبير الذي اعتاد أن يرى "بيل فالكروس" جالسا عليه . وقال – ولكن ماذا فعلتما بـ "بيل" ؟

فصاح الرجل البدين : من يكون "بيل" .. ؟

فابتسم "لوبين" وقال :

– إني أسف .. لاتهتما بما اقول .. "بيل" مجرد اسم خيالي .. ولكن لاداعي لأن تنكرا لي اسميكما .. فانت بضخامتك لابد ان تكون " هاردي وصاحبك الضئيل الهزيل لابد أن يكون "لوريل" .. ! مرحبا بكما يا "لوريل" و"هاردي" .. لقد رأيت كثيرا من افلامكما .. وهذا اللقاء فرصة سعيدة .

فتبادل الرجلان نظرة غيظ وقال الذي نعته "لوبين" بانه "لوريل" :

– إنه مجنون .لابد أن يكون مجنونا .. !

ولقد سمع "لوبين" عشرات من الناس ينعتونه بالجنون فكان لا يحفل بما يقولون .. أما الآن ولأول مرة فقد أدرك انه مجنون حقا ..

فلو لم يكن مجنونا لما دخل المسكن دون أن يتخذ أية حيطة .. لو لم يكن مجنونا لرابه رؤية الأنوار مضاءة في جميع الغرف .

ولكنه كان مجنونا .. وكان منهمكا في التفكير في المقابلة المنتظرة بينه وبين "الرفيق الكبير" . وجعل يتامل الرجل في اهتمام ، وتقدم "هاردي" إلى وسط الغرفة ودار حول المائدة وشرع يفتش "لوبين" فجرده من مسدسه ورماه إلى صاحبه ثم وضع مسدسه الخاص في جيبه وهو يقول في صوت أجش : والآن ما اسمك .. ؟

فقال "لوبين" في صوت مرح :

– إنهم يسمونني "رودلف فالنتينو" فما اسمك انت .. ؟

فقطب الرجل البدين جبينه وقست عيناه وقال مزمجرا :

– إنك تعرفنا دون شك .

- لم اتشرف بعد بمعرفتكما .. لقد خمنت انكما "لوريل" و"هاردي" ولكن يظهر اني كنت مخطئا .

- إنني ادعى "كيتري" .. وهذا هو البوليس السري "بوناشي" .. إننا من رجال البوليس فهل انت راض .. ؟

وكان الرضاء اقل ما يمكن ان يوصف به شعور "ارسين لوبين" في هذه اللحظة فما خطر له عند دخوله الغرفة ان هذين الرجلين من الشرطة .. بل ظن انهما من رجال العصابة جاءا ليفتكا به . وكان يتوقع مابين لحظة واخرى ان يرى سيلا من النار ينهمر من المسدسات ليرديه قتيلا .

ونظر "لوبين" إلى حذائي الرجلين الضخمين وقال :

- لقد خمنت .. إن الحذاء الضخم هو بطاقة رجال البوليس إني سعيد بقدومكما فلاشك ان رسالتي بلغتكما ؟

- اية رسالة .. ؟

- الرسالة التي دعوتكما فيها إلى الحضور .

فضاقت عينا "كيترى" وقال : هل انت صاحب هذه الرسالة ؟

- بكل تاكيد .. لقد كنت مشغولا فعهدت إلى صديق لي بان يؤديها بالنيابة عني.

فهز الشرطي الضخم راسه وقال :

- هذا بديع . ! ولماذا اردت ان تستدعينا ؟

ولم يكن "لوبين" في الواقع قد انفذ إليهما رسالة كما ادعى ولكنه تعمد بان يقول ذلك ليستدرجهما إلى الحديث حتى يتبين الحقيقة .

ولكن من الذي وشى به وارشد البوليس إلى هذا المسكن .. ؟ "فاي ادوارس" ولكنها لا تعرف مخباه .. ؟ سائق السيارة الذي اركبه يوم مصرع "بابيلوس" .. ولكن كيف عرف السائق المخبا وقد حرص "لوبين" على تضليله ؟

وعاد "كيتري" يقول مرددا سؤاله : لماذا استدعيتنا .. ؟

- لقد ظننت انه يهمكما ان تعرفا نبا عن "الرفيق الكبير" .

فقال الشرطي في شيء من الدهشة : حقا .. !

ثم استحالت دهشته غضبا وصاح في صوت مدو كالرعد :

- ايها الكذاب القذر .. هل تهزا بي .. ؟ لقد قال صاحب الرسالة التليفونية "إنني الرفيق الكبير .. ستجدون "ارسين لوبين" في الطابق الذي يشغله مستر "فالكروس" في فندق "استوريا" .. عليكم به فقد ضقت به ذرعا .."

فهز "لوبين" راسه وقال :

- لابد انه كان سكران .

ولكنه عرف أن الذي وشي به هو "الرفيق الكبير" .. ولكن كيف اهتدى إلى مخبئه .. !

وكان "كيتري" يحدق في وجه "لوبين" فقال بغتة :

- لقد عرفتك .. انت "ارسين لوبين" .

فتمتم "لوبين" قائلا :

- اهنئك ايها الأخ .. إنك دقيق الملاحظة متوقد الذكاء .

فلم يرق هذا المزاح في نظر الشرطي واحمر وجهه غضبا وصاح قائلا :

- امزح ماشئت فبعد قليل سيجيء دوري في المزاح الأولى بك ان تجيب على ماتسال عنه في صدق وصراحة قبل ان يستولي عليّ الغضب .

واحنى "لوبين" راسه دون ان يتكلم . كان يفكر في مصيره ومستقبله .. اتكون هذه هي النهاية .. ؟ اقضي عليه بان يختتم حياته بهذه الهزيمة السخيفة ؟ لقد نجا عشرات المرات من شرطة تعدّ انكى قوم في العالم فهل يقع فريسة سهلة بين ايدي هذين الغبيين .. ؟

وتكلم "لوبين" قائلا : وماهذه الأسئلة التي تريد أن توجهها إلي ؟

فصاح "كيتري" قائلا : اين ذلك المدعو "فالكروس" ؟

- لا ادري .

وكان "لوبين" صادقا في هذا الجواب .

وقبل ان يدري ماحدث كان "كيتري" قد رفع قبضته الضخمة وسدد إلى فكه لكمة جعلته يترنح ويصطدم بالجدار خلفه .

وصاح "كيتري" للمرة الثانية : اين "فالكروس" ؟

وللمرة الثانية اجاب "لوبين" قائلا :

- لا ادري !

ولكنه عقب بقوله : لقد رايته لآخر مرة في قفص القرود بحديقة الحيوانات متنكراً على هيئة رجال البوليس السري !

وللمرة الثانية ارتفعت يد "كيتري" ولكمت "لوبين" فاستند المسكين إلى الباب خشية السقوط إذ كان على غاية من الإعياء بسبب مانزف من جرحه من الدماء.

- قلت لك اين "فالكروس" ؟

وهز "لوبين" راسه دون ان يتكلم لان سمعه كان يطن وعينيه زائغتان وقوته تكاد تخونه . ولكن "كيتري" لم يكن يعرف معنى للرحمة فصاح في صوت غاضب قائلا :

- إذن فانت لا تنوي أن تتكلم .. ؟

فقال "لوبين" في كلمات متقطعة :

- إن من عادتي الا اتكلم مع القرود .. إذا كنت تعتقد انك باللكمات تصبح شرطيا سريا فانت بلاشك انبغ رجال الشرطة .

واحمرت عينا "كيتري" وصاح : إني ساعرف كيف ارغمك على الكلام.

ورفع يده للمرة الثالثة ولكم "لوبين" في فكه فترنح وامسك بالمائدة لكيلا يقع على الأرض .

ودنا منه "كيتري" واخذ بتلابيبه وجعل يهزه هزا عنيفا . ولأول مرة فطن إلى الدماء التي تلوث ثيابه وإلى الضمادات المعقودة حول كتفه فقال في غلظة: كيف أصابك هذا الجرح ؟

- عضتني نملة !

وامسك "كيتري" بذراع "لوبين" المصاب ولواها خلف ظهره في عنف . فاحس "لوبين" بالم شديد يسري في بدنه وشعر كانما يوشك ان يفقد الوعي وكان موقنا أن احتماله لن يطول .

ولكن رجال البوليس الأمريكي ما كانوا ليرحموا إنسانا حتى ولو راوه مسجي على فراش الموت إذ لابد من أن ينتزعوا منه الاعترافات باتباعهم الطريقة التي يطلقون عليها "الدرجة الثالثة" .. وهي طريقة تقتضي منهم ان يضربوا المتهم بهراوة من المطاط وان يرغموه على عدم النوم بضعة ايام وأن يلووا ذراعه خلف ظهره ولو كان جريحا

تقطر منه الدماء .

وفي تلك اللحظة دق جرس الباب فقال "كيتري" مخاطبا زميله :

- انظر من الطارق .

وخرج "بوناشي" إلى الردهة بينما ظل "كيتري" قابضا على ذراع "لوبين" وهو يلويه خلف ظهره منتظرا دخول القادم .

ولم يكن القادم إلا المفتش "فرساك" !

ووقف "فرساك" على عتبة الغرفة وازاح قبعته إلى الوراء واخذ المكان بنظرة شاملة ولم يكن في وجهه ما ينم عن الدهشة او العجب .

وقال في صوت بارد : ماهذا ؟

فاجابه "كيتري" في لهجة تدل على الزهو : لقد اقتنصنا "ارسين لوبين" ولكن المدعو "فالكروس" غير موجود الآن . ولكنني ساعرف كيف ارغم هذا الأخرس على الكلام . لقد شرعت اجرب معه الدرجة الثالثة .

فصاح المفتش "فرساك" في صوت يدوي كالرعد : ماذا تقول ؟ شرعت تجرب معه الدرجة الثالثة ؟ يالك من مجنون ! من علمك ان تفعل هذا هنا ؟

فازدرد "كيتري" ريقه وقال في ارتباك : ولكنه لا يريد ان يتكلم ايها الرئيس . كان يمزح ويهزا بنا كان الأمر هزل لاجد . وكنت اريد ان اعرف اين ذهب "فالكروس" ؟

فقال "فرساك" متهكما : وهل هذا هو ما تعلمته في إدارة البوليس .. يالها من فكرة بديعة ! استمر في عملك يا "كيتري" يمكنك ان تقلب المقاعد والموائد .. يمكنك ان تدق الطبول وتقرع الاجراس .. يمكنك ان توقظ اهل الفندق جميعا وأن تستدعي مخبري الصحف حتى يشهدوا كيف يعذب البوليس المتهمين ، يالك من غبي ! اهذا مكان يصلح "للدرجة الثالثة" ؟

وانكمش "كيتري" الضخم العملاق امام كلمات رئيسه وصاح "فرساك" قائلا : - دع "لوبين" واستدع إحدى السيارات وانتظرني عند الباب حتى انزل إليك .. اما انت يا "بوناشي" فانتظر "فالكروس" هنا حتى يحضر .

وكان "لوبين" شديد الإعجاب بما لـ"فرساك" من الباس في نظر

مرؤوسه فقد خرج "كيتري" من القاعة وهو يتعثر في خطواته على حين انزوى "بوناشي" في احد الأركان .

ونظر "فرساك" إلى "لوبين" طويلا ورأى الدماء العالقة بثوبه . ولكن وجهه كان على عهده جامدا لا ينم عن شيء كانه نحت من الجرانيت !

ثم قال فجاة : تعال معي .

واخذ بذراع "لوبين" وقاده إلى المصعد فهبطا إلى الطابق الأرضي دون ان يتبادلا كلمة واحدة .

وكان "كيتري" في انتظارهما داخل السيارة فصعدا إليها وامر المفتش السائق بالمسير .

وبعد فترة من الوقت وقفت السيارة فخرج منها "فرساك" وقال :

- انزل هنا .. لقد وصلنا .

وكان "لوبين" يتوقع ان يجد نفسه امام المركز العام لإدارة البوليس ولكن "فرساك" التفت إليه وإلى "كيتري" وقال : هذا هو مسكني . !

ثم وجه حديثه إلى "كيتري" قائلا : يمكنك ان تنصرف يا "كيتري" على ان ترجع إلي في الصباح فإن لي حديثا مع "لوبين" . طاب مساؤك.

ثم اخذ بذراع "لوبين" ثانية وقاده إلى المنزل تاركا وراءه "كيتري" مذهولا يسائل نفسه عن السر في هذا السلوك الشاذ الذي ظهر به رئيسه .

وعندما دخل "لوبين" إلى المسكن ادهشه ان يجد قاعة الاستقبال عامرة بالكتب إذ المعروف عن رجال البوليس انهم اقل الناس شغفا بالاطلاع والقراءة وفطن "فرساك" إلى دهشة اسيره فقال : على المرء أن يطلب العلم ولو كان في أرذل العمر . إنني مولع بالأدب الإغريقي القديم الم تسمع من قبل عن شاعر يدعى "هوميروس" ؟ لقد سالت عنه موظفا في إحدى الشركات فاكد لي انه لابد أن يكون من زعماء العصابات في شيكاغو .

وعلق "فرساك" قبعته على الشماعة وتناول زجاجة من فوق المائدة وقال :

- هل لك في قدح من الشراب ؟

- شكرا لك .

وصب "فرساك" الشراب في كاس صغيرة وقدمها إلى "لوبين" بينما اشعل سيجارة واخذ يدخن في هدوء .

ثم قال فجاة في اقتضاب :إنك مجنون يا "لوبين" .. !

فهز "لوبين" كتفيه وقال : السنا كلنا مجانين ..؟

- لقد اردت ان اقول إنك أكبر المجانين . ! لقد تحدثت إليك مرة وانذرتك بما سيكون ولا شك انك تعرف الآن مايقضي به عليَّ الواجب .

فصاح "لوبين" في صوت غاضب : إني اعرف .. ومن يقابل مساعدك "كيتري" لابد ان يعرف .. هيا اعد الهراوة وجهز الات التعذيب .. !

فقال "فرساك" في صوت هادئ : لقد عرفنا بالتجربة ان "الدرجة الثالثة" أصلح وسيلة لانتزاع الاعترافات من المجرمين .. ولكنني لا احب ان استعملها مع جميع الناس بلا استثناء .. لقد اتيت بك إلى بيتي لنتحدث في مسالة اخرى.. الم تقترب بعد من "الرفيق الكبير" ؟

وقد القى "فرساك" السؤال في صراحة ودون مواربة فاثر "لوبين" ان يعمد في جوابه إلى نفس هذه الصراحة فقال : إني انتظر رسالة تليفونية تصلني بعد ساعة .. وستكون هذه الرسالة طريقي إلى "الرفيق الكبير" .

وهز "فرساك" راسه وجعل يتفرس هنيهة في وجه "لوبين" ثم قال :

- لن اسالك كيف بلغت في ابحاثك هذه المرحلة .. ولن اسالك عن اسم الشخص الذي سياتيك بهذه الرسالة .. إني اعرف انك داهية اريب .

وساد الصمت هنيهة ثم مد "فرساك" يده في جيبه واخرج مسدسه وهو يقول:

- إن للمسدسات نفعا عظيما في مثل هذه المعارك .. فلو لم يصبك هذا الجرح الذي في كتفك لما استحال عليك ان تتخلص من "كيتري" و"بوناشي" ..

ولوح بمسدسه وهو يقول :

- ولو كان هذا المسدس في يدك الآن لعرفت كيف تتخلص مني .

ثم وضع المسدس على المائدة في غير اكتراث .

وكان المسدس على قيد ياردتين او ثلاث من قبضة "لوبين" فلو انه شاء لما تعذر عليه ان يختطفه . ولكنه بدلا من ذلك تناول قدحه ورشف

منه جرعة اخرى وهو يقول :

- "فرساك" .. اتريد أن تلعب معي لعبة القط والفار ؟

واسترسل "فرساك" يقول كانما لم يسمع هذه الجملة :

- لو انك اختطفت هذا المسدس الآن لاوقعتني في مازق حرج لا ادري كيف الخلاص منه لا سيما بعد أن اتيت بك إلى بيتي وامرت "كيتري" بالانصراف فإن اللوائح تحرم على رجال البوليس ان يذهبوا بالمتهمين إلى دورهم . وفضلا عن هذا فقد كان ينبغي ان امر "كيتري" بالبقاء لينضم إلي إذا خطر لك ان تتخلص مني .. فإذا حدث الآن انك هربت فلن يصفح عني رؤسائي ولن استمر في منصبي يوما واحدا .. الست معي في ذلك يا "لوبين" ؟

ولبث "لوبين" مكانه صامتا لا يتكلم وهو يدخن سيجارته .

ونهض "فرساك" واقفا ومشى إلى ركن الغرفة وفتح دولابا صغيرا قائما هناك لياتي بصندوق السجائر .

وكان المسدس لا يزال على المنضدة في متناول يد " ارسين لوبين" . وكان "فرساك" موليأ ظهره نحوه لا يلتفت إليه .. فلو ان "لوبين" مد يده واخذ المسدس لما راه "فرساك" .. ولو رآه لاستحال عليه أن يمنعه .

وقال "فرساك" وهو لا يزال في ركن الغرفة :

- ولكن يمكنني أن اقول من الناحية الاخرى إن هناك حوادث جساما قد تقع حتى الصباح .. فمن ذلك مثلا ان "الرفيق الكبير" قد يقع في ايدي البوليس .. إن الشعب يريد "الرفيق الكبير" اكثر مما يريدك انت .. ومهما فعل الشرطي الذي يقبض على "الرفيق الكبير" فلن يجرؤ السياسيون على طرده من منصبه خشية غضب الشعب .. فإذا فرضنا انك هربت مني فلن يجرؤ احد على أن يرفع يده في وجهي إذا انا تمكنت من اقتناص "الرفيق الكبير" .

ورجع "فرساك" إلى مقعده وكان المسدس لا يزال في موضعه على المنضدة فقال يخاطب "لوبين" : حقا إنك رجل شريف .

وتكلم "لوبين" للمرة الأولى فقال : لنفرض انك اقتنصت "الرفيق الكبير" فهل لذلك فائدة . ؟ ليس في "نيويورك" من راه او عرفه فكيف تثبت ضده التهمة ؟ من اين لك الشهود الذين يقسمون بان هذا هو

"الرفيق الكبير" ؟

فقال "فرساك" في صوت ذي نبرة كانها حد السيف :

– إني لست في حاجة إلى الشهود .. إذا جاءني رجل مثلك وقدم إلي شخصا وقال : "هذا هو الرفيق الكبير" فقد كفاني هذا برهانا قاطعا .. إني اومن بكل كلمة ينطق بها رجل مثلك .. وإذا ما وقع "الرفيق الكبير" في يدي عرفت كيف انتزع منه اعترافا كاملا .. إن "الدرجة الثالثة " لم تخلق عبثا .

وأطفا "لوبين" سيجارته في المنفضة وقد سرت في عروقه دماء جديدة . وخيل إليه على رغم قوته المنهوكة انه أصبح اهلا للقتال .. ودوت في اذنيه طبول الحرب وذهب عنه هذا الضعف الذي كان يشعر به حتى لقد خيل إليه أن الدماء التي نزفت من جرحه جددت نشاطه ولم تنهكه . كان يشعر في هذه اللحظة بانه ليس اهلا لمقاتلة "الرفيق الكبير" فحسب . وإنما لمقاتلة عشرات من امثاله .

ونهض واقفا وتناول المسدس فدسه في جيبه وقال مخاطبا "فرساك":

– شكرا لك .. ساعود إليك في العاشرة صباحا .. مع "الرفيق الكبير" أو بدونه .. !

فقال "فرساك" إلى اللقاء إذن وأرجو لك التوفيق .

وبعد دقائق كان "ارسين لوبين" يغادر البيت و"فرساك" يوصد الباب خلفه .

* * *

لم يكد "لوبين" يدق الجرس حتى فتحت كوة صغيرة في الباب ظهر خلفها "كريس بلليني" فعرف زائره على الفور واستقبله في ترحاب ملموس :

– ادخل يامسيو "لوبين" .. إني سعيد بان اراك مرة اخرى .

ومشى أمامه صوب القاعة فقال له "لوبين" : هل لديك أحد ؟

فهز "كريس" راسه وقال :

– كلا .. لقد انصرف "الأولاد" فلا تخش شيئا .

واجلس "لوبين" إلى إحدى الموائد واتاه بكاس وزجاجة من الشراب

ولما فطن إلى الدماء العالقة بثوبه تجهم وجهه وقال :
- الم تعرض نفسك على طبيب ؟
- بلى .. والإصابة بسيطة فكن مطمئنا .
وهز "كريس" راسه وقال :
- إن الشيء الذي يحيرني هو بقاؤك حيا حتى اليوم .
وكان "كريس" وهو يتكلم يتظاهر بعدم الاهتمام والمرح .. ولكن لم يخف على "لوبين" ان نبرات صوته تنم على قلقه وانزعاجه فقال له :
- كن مطمئنا .. إن هذه الإصابة لن تقتلني .. قال الطبيب إني قد اصاب بحمى خفيفة .. وهذا هو الشر الوحيد الذي انزلته بي هذه الرصاصة .
وفي هذه اللحظة دق جرس التليفون فانبعث "لوبين" واقفا وهو يقول :
- اظن هذا النداء لي .
وتناول السماعة ووضعها على اذنه فسمع صوتا خشنا يقول :
- هالو .. اهذه انت يا "مابيل" ؟
فقال "لوبين" في حنق : كلا .. انني لست "مابيل" .. وإني ارجو إذا عثرت عليها ان تغمد خنجرا في صدرها !
ورد السماعة إلى مكانها في الوقت الذي كان فيه مستر "بانج" يسب ويلعن عند الطرف الآخرمن السلك .
ورجع "لوبين" إلى مقعده في خطوات بطيئة متراخية تدل على الإعياء إذ كانت الحمى قد بدات مفعولها فضلا عن الصدمة العصبية التي اصابته حين خاب رجاؤه في الحديث التليفوني .
وبعد عشر دقائق دق جرس التليفون للمرة الثانية فنهض واقفا وقد تجدد نشاطه ولما تناول السماعة سمع صوتا نسائيا يقول :
- إنني "فاي" .
ووثب قلب "لوبين" في صدره واشتدت قبضته على السماعة والصقها باذنه بشدة كانما يخشى أن تفلت منه الكلمات .
وقال "لوبين" يسالها :
- ماوراءك من الأنباء ؟
- لقد بحثت عنه طويلا فلم أهتد إليه بعد .. ولكني تركت له أكثر من رسالة واغلب ظني اني ساراه الليلة ولو لبثت ساهرة حتى الصباح .

- إذن ساظل في انتظارك هنا .

فقالت الفتاة في رفق :

- يحسن بك ان تنشد شيئا من الراحة .

وكان صوتها موسيقيا عذبا فياضا بالحنان والرحمة .

واجابها "لوبين" بقوله : لن تطيب لي الراحة إلا إذا اهتديت إليه .

ولما رجع إلى مقعده قال له "كريس" :

- إنك بادي الإعياء فلم لا تنام قليلا .. ؟ إن لدي فراشا في الطابق الأعلى .

- ومن يلبي التليفون إذا استدعاني ؟

- إن نومي خفيف فكن مطمئنا .

وتردد "لوبين" قليلا ولكنه كان يشعر بمسيس الحاجة إلى الراحة وفضلا عن هذا فلم يكن في وسعه ان يعمل شيئا إلا إذا بلغته رسالة "فاي ادواردس" فلن يفيده شيئا بقاؤه مستيقظا .

واستيقظ "لوبين" في الصباح والشمس تغمر الأرض و"بلليني" واقف عند راسه يناديه .

فلما فتح عينيه قال له الإيطالي : إنك مطلوب على التليفون فنظر "لوبين" في ساعته فوجد انها تشير إلى الثامنة صباحا فنهض مسرعا ونزل إلى الطابق الأرضي وهو يحس انه استرد نشاطه وقوته .

ولما وضع السماعة على اذنه سمع الصوت الموسيقي المحبوب يقول:

- لقد سرني انك نمت واسترحت .

وقال "لوبين" مجيبا : لقد افادني النوم قوة ونشاطا وفي وسعي الآن ان اقاتل ثورا فما لديك من الأنباء يا "فاي" ؟

- هل يمكنك ان تذهب في الساعة التاسعة إلى بنك "فاندريك" . ؟ إني اعتقد انك ستجد هناك من تبحث عنه .

فوثب قلب "لوبين" فرحا ولبث صامتا هنيهة خاطفة ثم قال :

- ساكون هناك .

- وساوافيك في الموعد .. فإلى اللقاء .

وجلس "لوبين" إلى مائدة الفطور فتناول طعامه في شهية وشرب قدحا كبيرا من القهوة ثم طلب رقما معينا هو رقم ذلك السائق الذي اركبه سيارته يوم مصرع "بابيلوس" .

وقال يخاطب السائق تليفونيا : اهذا انت يا "باستيان" . ؟ الم تقل

إنك على استعداد لان تخدمني إذا احتجت إليك ؟

فصاح السائق في ابتهاج قائلا : إني لاجلك مستعد لان اقدم على اي شيء.. لن اتردد حتى ولو سالتني ان أسرق لك البنك الدولي .

فابتسم "لوبين" وقال :

– وسانقدك اجراً طيبا .. فهل لك في مقابلتي بعد ربع ساعة عند ملتقى الشارع رقم ٤٤ بشارع "كسنجتون" ؟

وكانت السيارة في انتظاره في المكان المحدد فلما رآه السائق مقبلا هتف به: أسرع بالصعود قبل ان يفطن احد إلى هذه الأربطة والضمادات .

وصعد "لوبين" إلى السيارة وهو يقول للسائق :

– اذهب بي إلى بنك "فاندريك"

ولما بلغت السيارة باب المصرف قال "لوبين" :

– قف بنا في اقرب مكان من المدخل .. إني لن انزل الآن من السيارة ولكن إذا رايتني اغادرها فلا تتحرك من مكانك ولا توقف المحرك وكن مستعداً للفرار بمجرد رجوعي . واعلم اني ساعود ومعي شخص سانكر اسمه فيما بعد .

فهز السائق راسه علامة الموافقة .

واشعل "لوبين" سيجارة واخذ يدخن وهو غارق في خواطره وافكاره كان باب البنك لا يزال مغلقا إذ لم يحن بعد موعد فتحه . ولكن عينه كانت مابين لحظة واخرى تستقر على الباب في قلق ولهفة وهو يسائل نفسه عن السر الذي سيتكشف عنه هذا الانتظار .

اتراه سيظفر حقا "بالرفيق الكبير" ؟ ام سيضطر إلى البر بوعده فيعود إلى "فرساك" ويقدم إليه يديه ليضع فيهما القيد الحديدي ؟ اتراه سيتمكن من إنجاز مهمته واداء واجبه نحو العدالة بالقبض على "الرفيق الكبير" الذي غمر المدينة بالجثث والدماء ام سينكص على عقبيه مخذولا مقهوراً ؟

وبدات الساعة ترسل دقاتها التسع .

ونظر "لوبين" في ساعته كانما لا يصدق ماتسمع اذناه .

وتحرك حارس الباب واخذ يفتحه ليستقبل العملاء .

وتوترت اعصاب "لوبين" وجرت الدماء حارة في عروقه حين شعر باقتراب اللحظة الحاسمة . واخذ يقول في نفسه :

- ليت شعري من هو "الرفيق الكبير" ؟ نعم .. من هو "الرفيق الكبير" ؟ من هو ذلك الرجل الذي جمع من الدماء عشرين مليونا من الدولارات ؟ وما الذي يدعوه إلى المجيء للبنك ؟ اتراه قد اودعه هذه الملايين ؟

وجعل "لوبين" ينظر في ساعته ويتفحص وجوه العشرات من الناس الذين هرعوا إلى البنك عندما فتحت ابوابه .

كانت هذه اللحظة حاسمة في تاريخ حياته .. ومجده .. وانتصاراته .. وماضيه .. كلها معلقة بما ستتكشف عنه هذه اللحظة .

وعلى حين فجاة راى صديقه "فالكروس" مقبلا فنسي كل شيء عند هذا ونزل من السيارة ودنا منه ووضع يده على كتفه في رفق فدار هذا على عقبيه ولما راى "لوبين" امامه اتسعت عيناه دهشة وهتف قائلا :

- اهذا انت يا "لوبين" .. ؟ ما كنت اتوقع ان تستيقظ مبكرا في مثل هذه الساعة ؟

فابتسم "لوبين" وقال :

- بل إني لم اكد انوق النوم .. ! ولكن اين كنت ؟

- الم تفطن إلى رسالتي ؟ لقد تركت لك رسالة على رخامة الموقدة .

فهز "لوبين" راسه وقال :

- كانت هناك اسباب حالت دوني والبحث عن رسالتك ... ولكن تعال معي إلى سيارتي فإني لا اريد ان يراني أحد في هذا المكان .

واخذ بذراع "فالكروس" وقاده إلى السيارة .

وطلب إليه "لوبين" الانتظار وعدم الانطلاق بالسيارة إذ لم يحن اوان ذلك بعد .

وعاد "لوبين" يسال "فالكروس" بقوله : ولكن اين كنت ؟

- لقد سافرت إلى "بتسبرج" بالطيارة لعمل فجائي استدعى ذلك وتناولت العشاء مع صديق لي ثم عدت الآن بالطيارة .

- الم تذهب إلى الفندق بعد ؟

- نعم لم اذهب .

- هذا من حسن حظك .. فإن في انتظارك هناك شرطيا يريد ان يسالك عن السبب الذي جعلك تؤوي تحت سقفك رجلا خطرا مثلي .

فبدت امارات الدهشة على وجه "فالكروس" وقال :

- يا إلهي ! ولكن كيف عرفوا انك ..

- لا ادري .. وكل ما هنالك ان "الرفيق الكبير" اتصل بهم تليفونيا وارشدهم إلى مخبئي و اوصاهم بي خيرا قائلا : "إنه ضاق بي ذرعا ويلوح لي أن القنوط ادركه إذ رآني افلت من عصابته مرة بعد مرة فاراد ان يغري بي البوليس عله يكون اسعد حظا ... ولكن المهم الآن هو إخراجك انت من هذه الورطة .. إذا سئلت عني فقل إنك لا تعرف شيئا وإن من المحتمل اني حضرت إلى المسكن بقصد السطو عليه .

- ولكن ماذا يكون من امرك انت ؟ الا تنوي ان تهرب ؟

فارتسمت ابتسامة خفيفة على شفتي " لوبين " وقال :

- بل سانتظر حتى اظفر بالمليون دولار التي وعدتني بها .

ثم انشا يحدثه بما وقع في الليلة الماضية واختتم حديثه بقوله :

- وكان المفتش "فرساك" اطلق سراحي على شرط ان آتيه "بالرفيق الكبير" . وقد جئت إلى هذا البنك لأن "فاي ادواردس" سترشدني إلى "الرفيق الكبير" .

فصاح "فالكروس" قائلا : "فاي ادواردس" سترشدك إلى "الرفيق الكبير" .. ! إذن فهي ستتخلى عنه بعد ان انتشلها من وهدة الفقر والفاقة كما ذكرت لك !

وساد الصمت هنيهة ثم قال "فالكروس" :

- ما اعجب النساء . !

هذه امراة تتسلط على المدينة باسرها وتنشر عليها الرعب والفزع ويأتمر بامرها عشرات من الرجال يغرقون المدينة في الحديد والنار تلبية لإشارة من يدها .. ومع ذلك تتخلى عن هذا المجد ؟ لماذا ؟ لأنها احبت رجلا مثلك .. مغامرا جسورا . لا اسم له ولا وطن .. ! حقا إن المراة لغز غامض .. !

وفي تلك اللحظة مر باعة الصحف ينادون ويصرخون فابتاع "فالكروس" إحداها وما كاد ينظر فيها حتى هتف قائلا :

- انظر .. ! ها هو ذا الشخص السادس والأخير قد قتل !

فقد نشرت الصحف بالخط العريض أن أحد زعماء العصابات المدعو "كيرلي ايبولينو" والمقيم في مدينة "بتسبرج" قد قتل في الليلة الماضية بيد شخص مجهول .

واسترسل "فالكروس" قائلا :

- الآن .. انتهت مهمتك العظيمة وصار المليون دولار حقا لك لقد استدعيتك إلى هذه البلاد لتنتقم لمصرع ابني بان تقتل ستة من زعماء العصابات . وقد قتلت خمسة منهم وها هو ذا السادس قد قتل ايضا فليس ثمة ما يدعوك إلى البقاء . إن في بقائك خطرا على نفسك وانت تعلم أن البوليس يجد في إثرك . فعد إلى بلادك .. بادر إلى الفرار .. وخذ معك المليون دولار .

فقال "لوبين" معترضا : و"الرفيق الكبير" ؟

- ولكنك تعلم اني لم اسالك ان تقتل "الرفيق الكبير" . ! إنه شخص لا خطر منه .. إنه ذهن جبار ليس إلا ... يدير ويحرك ويضع الخطط .. ولكن بمفرده لا يستطيع ان يعمل شيئا .. إنه كالطير إذا قص جناحاه عجز عن الطيران .. وقد قص الجناحان بمصرع زعماء العصابة الستة فوجود "الرفيق الكبير" وموته سيان . إنك انت الذي ضممته إلى القائمة على غير رايي فلن اطالبك بقتله .. ساتيك الآن بالمليون دولار فخذها واهرب وإلا وقعت في أيدي البوليس .

ونزل "فالكروس" من السيارة ومشى متجها إلى درج البنك ، واخذ "لوبين" يتابعه بعينيه وقد ارتسمت فيهما نظرة غريبة .. نظرة تدل على أن فكرة غريبة قد وثبت إلى ذهنه !

وفي هذه اللحظة وقفت سيارة عند الافريز وخرجت منها "فاي ادواردس" .

* * *

لم يكد "لوبين" يراها حتى فتح باب سيارته وقفز إلى الأرض .

وإذ ذاك راى ان الفتاة لم تكن تنظر إليه وإنما كانت مرسلة بصرها إلى "فالكروس" .

ولم يكن هناك ما يدعوها إلى الكلام .. ولم يكن هناك ما يدعوه إلى توجيه الأسئلة ! كانت هذه النظرة افصح من كل سؤال وجواب !

"فالكروس" هو "الرفيق الكبير" !

ولم تكن الفتاة قد فطنت بعد إلى وجود "لوبين" .. كانت لا تزال تنظر إلى "فالكروس" . هذه النظرة الناطقة . الفصيحة . البليغة . هذه النظرة التي جمعت كل ما يبغيه "لوبين" .

وارتفع الستار وانكشف الماضي كله .

وتدفقت إلى ذهن "لوبين" الحقائق القديمة . والأسماء والكلمات ..

والحوادث . واخذت تدوي في اذنيه . وتروح وتجيء حتى انتظمت سلسلة منسقة متصلة الحلقات ليس لها إلا معنى واحد هو ان "فالكروس" هو "الرفيق الكبير" !

"الرفيق الكبير" هو الذي وشى به إلى البوليس وانباهم بمخبئه .. ومن يعرف هذا المخبا غير "فالكروس" ! ؟

لقد ذكرت له "فاي ادواردس" أن "كيتري ايبولينو" يقطن مدينة "بتسبرج" .. وهاهو ذا "فالكروس" يذهب إلى "بتسبرج" بالطيارة ويعود منها .. وهاهي ذي الصحف تعلن إلى الناس مصرع "ايبولينو" !

إذن فقد ذهب "فالكروس" إلى "بتسبرج" ليقتل "ايبولينو" لأنه كان الوحيد الذي لايزال حيا بين زعماء العصابة فإذا مات آلت العشرون مليونا كلها إلى "فالكروس" وحده .

وهذا إذن هو السر في أن "الرفيق الكبير" أوصى " فاي " بأن تنقذ "لوبين" وتحميه كلما وقع بين أيدي العصابة معللا ذلك بانه سيتمكن في أحد الأيام من ضمه إليه . أما التعليل الحقيقي فهو انه أراد أن يبقي على "لوبين" حتى يتم له الإجهاز على شركائه في الميراث واحدا بعد الآخر .

والآن وقد تم هذا الإجهاز ولم يبق إلا "ايبولينو" فقد وشى به إلى البوليس وتولى هو بنفسه التخلص من غريمه "ايبولينو" .. !

وحكاية الابن الذي اختطفته العصابة وقتلته .. ورغبة "فالكروس" في الانتقام لولده .. ! إنها إذن حكاية ملفقة لا أصل لها ابتكرها "فالكروس" ليتخذ منها حجة في الاستعانة بـ" لوبين" .. !

وما فكر "فالكروس" في التخلص من "لوبين" والوشاية به عند البوليس لولا أن أصر هذا على اكتشاف سر "الرفيق الكبير" والقضاء عليه مع من قضى عليهم من زعماء العصابة .

وهكذا انكشف الحجاب وتدفقت الحقائق الدامغة إلى ذهن "لوبين" ومنذ لحظات وثبت هذه الفكرة إلى دماغ "لوبين" ولكنه طردها ونفاها ولم يشا أن يصدق أن "فالكروس" هو بعينه "الرفيق الكبير" .

أما الآن .. حين رأى تلك النظرة التي أرسلتها "فاي ادواردس" إلى "فالكروس" فلم يعد هناك مجال للشك .

وكانت "فاي" لا تزال مسمرة في مكانها وهي تنظر إلى "فالكروس" الذي كان قد شرع يرتقي درج البنك .

وفجأة التفت "فالكروس" خلفه فرأى الفتاة لأول مرة .. ورأى النظرة التي في عينيها .. ثم رأى "لوبين" ورأى أيضا النظرة في عينيه !

وعرف في الحال أن أمره قد انكشف .

وتبددت من عينيه أمارات الرقة وطيبة القلب وأرسلتا وميضا مخيفا كالشرر . وانقلبت سحنته وتقلصت عضلات وجهه . حتى لقد خيل إلى "لوبين" أنه يرى هرة وديعة تنقلب نمرا مفترسا .

وعلى حين بغتة امتدت يد "فالكروس" إلى جيبه الخلفي ، وكذلك فعل "لوبين" .. ولكنه مالبث أن أدرك غلطته ، كانت يده اليمنى هي التي تحركت بحكم الغريزة . ولكنه نسي الجرح الذي في ذراعه والذي يجعل استعمال هذه اليد متعذرا .. فلما شعر بالألم يمزق أوصاله رد يده عن الحركة ودفع يده اليسرى إلى جيبه .

وفي هذه اللحظة كان "فالكروس" قد أخرج مسدسه وأرسل منه طلقا ناريا مر إلى جوار أذن "لوبين" ودوى الطلق الثاني ولكن "لوبين" لم ير اتجاهه ولم يسمع منه إلا دويه وأخرج "لوبين" مسدسه وأطلق رصاصة أصابت "فالكروس" فأفلتت أصابعه المسدس وترنح وسقط على الأرض .

وجرى إليه "لوبين" فأخذ بتلابيبه وجره إلى السيارة .

وإذ ذاك رأى "فاي ادواردس" .

كانت واقفة إلى جوار السيارة مستندة إليها بإحدى يديها أما يدها الأخرى فكانت موضوعة فوق صدرها وقد انبثقت خيوط من الدماء من بين فرجات أصابعها .

وعرف "لوبين" على الفور أين استقرت رصاصة "فالكروس" الثانية !

ولم يشعر بالحزن فحسب وإنما خيل إليه أنه يختنق وأن أنفاسه احتبست وأن قلبه كف عن الخفقان .

وفي اللحظة التالية فتح باب السيارة وألقى بـ "فالكروس" على المقعد كما تلقى الغرارة . ثم رجع إلى "فاي" فاحتواها بين ذراعيه في رفق وحملها إلى السيارة .

وكانت خفيفة كأنها طفلة ناعسة .. ولم يشعر حتى بالألم الذي يمزق كتفه .

ووضعها على المقعد في رفق وحذر كأنها تمثال من الزجاج يخشى عليه أن ينكسر .

وانطلقت السيارة مسرعة دون ان يجرؤ احد من الجمهور المحتشد على التعرض لها .

ولكن رجال البوليس انطلقوا في اثرها بالموتوسيكلات والسيارات و"باستيان" ينهب الارض ويطوي الطرقات كانه في سباق إلى الموت لا يعبا بإشارات المرور ولا يقيم وزنا لاوامر الكونستبلات .. يدور وينعطف ويتلوى ويعرج حتى نجح اخيرا في تضليل مطارديه والإفلات منهم .

وشعر "لوبين" بلمسة خفيفة على نراعه فنظر إلى الفتاة . كانت قد نزعت قبعتها فتهدل شعرها على جبينها في خصلات من النهب . وكانت في عينيها الجميلتين ظلال خفيفة .. ولكن وجهها لبث هادئا ساكنا والشباب المتفجر منطبع على صفحته كانما لم يكن يفترسها الموت . ! اما انفراج شفتيها فيمكن ان يوصف بانه شبح ابتسامة !

وتكلمت قائلة : لاتحزن . ! لن ارافقك إلى النهاية . !

فقال "لوبين" في خشونة : هراء ! إصابتك تافهة ! وستشفين . !

ولكنه كان يعلم أنه كانب !

وكانت هي أيضا تعرف نلك .

وهزت راسها فتراقصت خصلاتها النهبية وقالت :

– ليس هناك ما يؤلم ! إني لا اتعنب !

وكانت مستندة إلى صدره في استسلام كانها طفلة متعبة .

وارسلت من صدرها تنهيدة خفيفة وقالت :

– ما كنت اظن اني ساموت الآن !

وعقد الحزن لسانه فلم يتكلم .

ثم قالت في هدوء : قبلني ثانية يا "لوبين" . !

فقبلها .

وجعلت الفتاة تتامل وجهه كانما تريد الا تنسى خطًا واحداً من خطوط ملامحه .

وكانت تبتسم . وكانت في عينيها ومضات .

وراها تستجمع انفاسها لتتكلم ثم قالت في صوت خافت : وداعا .

ثم اغمضت عينيها وهي لا تزال تنظر إليه .

وضع "لوبين" راسها في رفق على وسادة السيارة . ولم يحول بصره عنها ولكنه لم يكن يرى شيئا لان العبرات حجبت عنه وجهها . وجه

هذه الفتاة التي عاشت لأجله .. وماتت لأجله !

وظل "لوبين" ساكنا جامدا كانما ادركه الموت هو ايضا .

وخيل إليه انه يسمع إلى جواره حركة وصوتا .

وكان هذا هو "فالكروس" وقد بدأ يتحرك ويتكلم .

وقال "فالكروس" في صوت متقطع ينم عن الألم والرعب :

- إني لا اريد ان اموت .. ! انقذني .. خذ كل اموالي واعد إلي الحياة اذهب بي إلى طبيب .. إن لدي عشرين مليونا فخذها كلها .. لا ابتغي إلا الحياة . انقذني .

فصاح "لوبين" في صوت غاضب : اصمت !

فعاد "فالكروس" يقول متوسلا :

- خذ ملاييني كلها . لست اريد إلا أن اعيش !

فضربه "لوبين" بيده على فكه وهو يقول في وحشية :

- ويحك ايها المجنون .. ! اتظن ان ملايينك يمكن ان تعيد إلي مافقدت .. !

فانكمش المحتضر خوفا ولاذ بالصمت . فقد كان صوت "لوبين" اشد رهبة من الموت .

وحين وقفت السيارة امام بيت المفتش "فرساك" نزل منها "لوبين" وتقدم إلى البيت فالفى "فرساك" عند الباب .

واخرج "لوبين" المسدس وقدمه إلى "فرساك" قائلا :

- لقد بررت بوعدي .. وهاك مسدسك !

فدس المفتش المسدس في جيبه وقال : الم تعثر على "الرفيق الكبير"؟

- إنه في السيارة .

فاشرق وجه "فرساك" وهمس قائلا : شكرا لك .

وأسرع إلى السيارة وفتح بابها فتدحرجت جثة "فالكروس" عند قدميه .

وهنا راى "فرساك" شيئا اخر .. راى جثة فتاة على المقعد .. فقطب جبينه وجمد في مكانه . ثم قال : من هذه .. ؟

ولكنه لم يسمع جوابا لأن "لوبين" كان قد اختفى . !!

* * *

الخاتمة

كانت "نيويورك" باسرها تتحدث عن "ارسين لوبين" .. !

اما في إنجلترا فكان المفتش "تيل" جالسا بين نفر من مساعديه وهو يقول :

- لقد رجع إلينا "لوبين" .. !

ثم يتنهد ويقول :

- نعم .. لقد رجع .. !

فيتنهد معه جميع مساعديه ويقولون :

- نعم لقد رجع .. !

فقد كانوا يعرفون معنى هذه العودة .. !

أما "لوبين" فكان جالسا في حديقة داره وسيجارته بين شفتيه و"باتريشيا هولم" إلى جواره وهي تقول :

- ولكنك لم تحدثني بشيء مما وقع لك في "نيويورك" .. ؟

ولم يسمع "لوبين" سؤالها .. لأنه كان في هذه اللحظة يعيش في مكان يبعد عن لندن ثلاثة آلاف من الأميال . ولم يكن يسمع إلا صوتا واحدا . صوتا يعلو على ضجة المركبات ودوي السيارات .

وكان الصوت موسيقيا عذبا يردد في همسات لينة :

- وداعا .. ! وداعا .. !

تمت